

المسحاة

مجلة

المجلد التاسع عشر
الجزء الرابع



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

(المجلد التاسع عشر)

١٩٣

(الجزء الرابع)

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الأبواب

المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الأبواب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

مصر ٣٠ ذي القعدة ١٣٣٤ هـ — الميزان (خ ١) ١٢٩٥ هـ ث ٢٨ سبتمبر ١٩١٦

[المنار: ج ٤ م ١٩] مناسك الحج - أحكامه وحكمه ٢١٣

مناسك الحج

أحكامه وحكمه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَمَنْ كَفَرَ
فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (سورة آل عمران - ٩٦:٣)

إِنَّ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَمِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا (سورة البقرة ١٥٣:٢)

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا
فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ. وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا
فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (سورة البقرة ٩٣:٢)

أما بعد حمد الله والصلاة والسلام على خاتم رسله محمد صلى الله عليه
وسلم فيقول محمد رشيد بن علي رضا صاحب مجلة المنار: اتى في شهر ذي
القعدة سنة ١٣٣٤ عزمتم على أداء فريضة الحج في خدمة والدتي، وكنت
أتمنى ذلك منذ سنين ولم يتيسر لي، لوانع بعضها من قبلها وبعضها من
قبلي، وقد خضر لي قبل السفر من مصر بثلاث ليال أن أكتب شيئاً
مختصراً في أحكام المناسك وحكمها سهل العبارة، مأخوذاً مما صح في
السنة، مع الإشارة إلى أقوى مسائل الخلاف، وأن أطبعه وأوزعه على

من أسافر بصحبته من الحجاج ، تعلما للجاهل ، وتذكيرا للغافل ، ولكن لم يتيسر لي الشروع فيه الا في منتصف النهار من اليوم الثاني والعشرين من الشهر — وموعد السفر ٢٤ منه —

﴿ الحج والعمرة ﴾

الحج أحد أركان الاسلام الخمسة ، وهو عبادة بدنية مالية ، والصلاة عبادة بدنية فقط وكذلك الصيام ، والزكاة عبادة مالية فقط ، ومعناه القصد الى بيت الله الحرام بمكة المكرمة لاداء النسك فيه وفيما جاوره من الاماكن الشريفة ، وهذا نسك منه أركان وواجبات ، وسنن مندوبات ومستحبات والعمرة كالحج في أركانه وواجباته وسننه الا الوقوف بعرفة فانه ركن من الحج غير مشروع في العمرة ، وتكون في أشهره وفي غير أشهره كما سيأتي . وهي واجبة عند بعض أئمة العلم وسنة عند الآخرين

ويجوز الجمع بين الحج والعمرة بأن ينويهما ويلبي الله تعالى بهما معا عند الاحرام ، ويسمى هذا [قرانا] وأن ينوي الحج وحده ويلبي به ثم يدخل عليه العمرة ، ويسمى [إفرادا] وأن ينوي العمرة وحدها أو مع الحج ثم يتحلل منها بعد أداء أركانها ، ثم يحرم بالحج بمكة ، ويسمى هذا [تمتعا] لان صاحبه يتمتع بعد التحلل من احرامه بها بما يتمتع به غير المحرم من لبس الثياب والطيب وغير ذلك من محرمات الاحرام ، وعليه فدية وهي ذبح شاة أو صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة أيام اذا رجع من الحج أو اطعام ستة مساكين من أوسط طعامه ، ككفارة اليمين وزكاة الفطر واختلف علماء السلف والخلف في الافضل ، وأقوى الأقوال في ذلك أن يتمتع أفضل مطلقا أو لمن لم يسق [الهدى] الى الحرم .

و[المهدي] ما يهدي إلى الحرم من الأناعام ليدبح فيه تقرباً إلى الله تعالى، فمن ساقه من بلده أو طريقه فالأفضل له القران. وعلى هذا يكون التمتع هو الأفضل ولا يسر لأمثالنا — من الحجاج المصريين وغيرهم ممن لا يسوق معه هدياً — أن نحرم بالعمرة وحدها أو مع الحج ثم نأتي بأركان العمرة كما يأتي بيانه، ثم تحلل منها فنستبيح كل ما يباح لغير الحرم، ونذبح شاة حتى إذا كان يوم [التروية] — وهو الذي قبل يوم عرفة — نحرم بالحج من مكة، ولئن أحرم بالحج وحده أو بالحج والعمرة معاً أن يتحلل بعمرة ثم يحرم بالحج كذلك

﴿الأحرام والتلبية﴾

لكل قطر من الأقطار مكان يسمى [ميقات الأحرام] لا يجوز تجاوزه بغير أحرام لحاج ولا لمعتمر، وفي غيرها كقاصد الحرم للتجارة خلاف، فمضى بلغ الميقات أحرم عنده بأن ينوي الحج والعمرة أو أحدهما، ويلبي بما نواه بأن يقول: لبّيك اللهم عمرة أو بعمرة، أو لبّيك اللهم حجاً، أو لبّيك اللهم حجاً وعمرة، أو بحج وعمرة. وتقدم أن الأفضل لأمثالنا الأحرام بالعمرة فقط. ومن أحرم أحراماً مطلقاً قاصداً النسك الذي فرضه الله تعالى في حرمه من حيث الجملة جاهلاً بهذا التفصيل صح أحرامه، وعند أداء المناسك يأتي بواحد من الثلاثة التي ذكرناها. والأحرام بالمعنى الذي ذكرناه — وهو نية النسك من حج وعمرة فرض فيهما وهو ركن عند الجمهور وشرط على الراجح عند الحنفية

ويستحب الاغتسال للأحرام ولو لحائض ونفساء، وكذلك التطيب قبله، وأن يكون بعد صلاة إما صلاة فرض وإما صلاة تطوع، وأن

يحرم في ثوبين نظيفين—وكونهما أبيضين أفضل—وفي ثوبين لا يستران الكعبين، وإن يكون أحد الثوبين أزارا يلف على النصف الأسفل من البدن والآخر رداءً يوضع على العاتق ويستر النصف الأعلى منه دون الرأس فإن ستره حرام على الرجال. فلا يجوز للمحرم لبس العمامة ولا غيرها مما يوضع على الرأس ولا لبس القميص والقباء (التفطان) والبرنس والجبة والسراويل والخلف والحذاء الذي يسمى الجزمة أو الكندرة. ولا ما في معنى ذلك من الثياب المفصلة الخيطة ومن لم يجد الأزار والرداء أو النعلين لبس ما وجد؛ ففي صحيح مسلم عن ابن عباس أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب بعرفات يقول « السراويل لمن لم يجد الأزار والخفان لمن لم يجد النعلين » ولا فدية عليه عند الشافعي وأحمد لأنه لبس ذلك للضرورة فإذا زالت الضرورة في أثناء النسك بأن وجد الأزار والنعلين وجب عليه نزع السراويل والخلف ونحوهما، فإن لم ينزعهما وجبت عليه الفدية وهي شاة يذبحها. وعند أبي حنيفة ومالك تجب عليه الفدية وإن لبس ذلك للضرورة. ولا بأس بشد المنطقة أو الهميان الذي توضع فيه النقود في الوسط. ولا بأس بعقد الأزار في وسطه أيضاً وإذا كان يخاف سقوطه بغير عقد يتأكد العقد

والأصل في هذه المسألة حديث ابن عمر في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عما يلبس المحرم من الثياب فقال « لا يلبس القميص ولا العمام ولا السراويلات ولا البرانس ولا الخفاف إلا أحد لا يجد ثوبين فليلبس الخفين وليقطعهما أسفل الكعبين. ولا تلبسوا شيئاً من الثياب مسه الزعفران ولا الورس » هذا لفظ مسلم. وفي حديث ابن

عباس المرفوع أنه صلى الله عليه وسلم لم يشترط في ترخيصه بلبس ابن من لم يجد النعلين قطعهما . فبعض العلماء حل هذا الإطلاق على حديث ابن عمر وقل لا بد من فطمهما ، وبعضهم قال ان حديث ابن عباس ناسخ لحديث ابن عمر لانه بعده

ولا يجب على الرجل كشف غير الرأس من بدنه ، ويجوز له أن يستظل بالظلة (كالشمسية) وغيرها مما لا يمس رأسه ، ولكن يستحب له أن يعرض رأسه للشمس ما لم يتأذ بذلك ، لان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم لم يكونوا يستظلون في الاحرام ، وقد رأى ابن عمر رجلاً ظلل عليه فقال له : ايها المحرم أضح لمن أحرمت له . أي أبرز للشمس لاجل من أحرمت له . يقال ضحى الرجل يضحى ضحىً ، وضحا يضحو ضحواً وضحياً اذا برز للشمس أو أصابته الشمس .

وأما المرأة فلم ينهها النبي صلى الله عليه وسلم الا عن وضع النقاب على الوجه ولبس القفازين في اليدين فاحرامها في وجهها ويديها . والنقاب ما تستر به المرأة وجهها فلا يبدو منه الا محاجر العينين ومثله البرقع . قال العلماء فان سترت وجهها بشيء لا يمسه فلا بأس . وأما ستره عن الرجال بمظلة ونحوها فلا شبهة في جوازها ، ويجب اذا خيفت الفتنة من النظر . ومن أضره لباس الاحرام فله أن يتقي الضرر ولو بتغطية الرأس ومتى زالت الحاجة الى ذلك تركه

وأما التلبية فصيغتها المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » وكان صلى الله عليه وسلم يلبي من حين يحرم يرفع بها

(المنار: ج ٤) (٢٨) (المجلد التاسع عشر)

صوته ، فرفع الصوت سنة للرجل ، فيرفع المحرم صوته بحيث لا يجهده نفسه ، والمرأة ترفع صوتها بحيث تسمع نفسها وكذا جارتها ومعنى التلبية المبالغة في إجابة دعوة الداعي الى الحج ، ولا يزال العرب يحییون من يدعوهم الى شيء بكلمة ليك ، وأول من دعا الناس بأمر الله الى هذه العبادة ابراهيم عليه وعلى آله الصلاة والسلام . وذلك قوله تعالى له (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) والرجال هنا جمع راجل وهو الماشي على وجهيه ، أي يأتوك مشاة وراكبين على الرواحل الضامرة البطون التي تأتي من الفجاج والطرق البعيدة . فمضى « لبيك اللهم » اني أجيب الدعوة الى هذا النسك خاضعاً لامرك متوجهاً اليك مقياً لخدمتك المرة بعد المرة . والتلبية واجبة عند المالكية ومسنونة عند الجمهور

وهذه التلبية الماثورة هي العبادة القولية التي تتكرر من أول الاحرام بالنسك الى الانتهاء منه . ويستحب تجديدها بتجدد الشؤون والاحوال كالصعود والهبوط والركوب والنزول واجتماع الناس وتلاقي الرفاق

﴿ دخول مكة والطواف ﴾

يستحب الاغتسال لدخول مكة؛ فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يغتسل له ، وكان يبيت بـ [لذي طوى] وهو موضع عند الآبار التي يقال لها آبار الزاهر ، فمن تيسر له المبيت فيه والاغتسال فقد أصاب السنة . والافضل دخول مكة نهرا ، وان يقصد المسجد الحرام ترواً ، والافضل أن يدخل من باب بني شيبه؛ وروي في حديث ضعيف ان النبي (ص) كان يقول اذا رأى البيت (أي الكعبة المعظمة) « اللهم زد هذا البيت

تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة ، وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفا وتعظيما وتكريما وبراً» وروي أن عمر رضي الله عنه كان إذا نظر إلى البيت قال: اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام» واعلم أن ما يذكر في المناسك من الدعاء والثناء وما يلقيه المطوفون للحجاج قلما يصح فيه حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنه ما هو من أقوال الصحابة وغيرهم من سلف الأمة .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمع أصحابه يدعون الله تعالى ويثنون عليه في النسك بما يلهمهم الله تعالى فيقرهم على ذلك . فعلم من ذلك أن ما لم يصح عن النبي (ص) من ذلك لا يكلفه أحد ولا يمنع منه ، ولكن لا يجعل شعارا عاما يلقيه كل الحجاج ويلتزمونه دائما بصفة خاصة ، لأن الشعار لا تثبت إلا بنص الشارع ، والظاهر أن الشارع ترك هذا الأمر للناس ليدعو كل منهم ويثني بما يلهمه الله ويخشع له قلبه . ويسن أن يصلي بعد الطواف ركعتين

والثابت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل المسجد الحرام يبدأ بالطواف ، والطواف الأول من الحاج أو المعتمر يسمى طواف القدوم وهو واجب عند المالكية وسنة عند الأئمة الثلاثة

ويراعي في الطواف شروط الصلاة كالوضوء وطهارة البدن والثياب وستر العورة لما رواه الشافعي والترمذي — واللفظ له — من حديث ابن عباس مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم «الطواف بالبيت مثل الصلاة إلا أنكم تتكلمون فيه فمن تكلم فيه فلا يتكلم إلا بخير» ووردت آثار في النهي عن كثرة الكلام في الطواف أي وإن كان بخير لم تمس إليه

الحاجة ، لأنه يشغل القلب عن الخشوع في هذه العبادة
ولما كانت الطهارة شرطاً لصحة الطواف امتنع الطواف على الحائض
والنفساء فهي تؤدي جميع أعمال الحج سواء فتربص به إلى أن تطهر ،
ويبتدىء من الحجر الأسود : يستقبله ويستلمه ويقبله إن أمكن من غير
إيذاء نفسه أو إيذاء أحد بالمزاحمة والا اكتفى باستلامه بيده - أي مسحه
بها - وتقبيلها فإن لم يمكن أشار إليه بيده . ثم يشرع في الطواف فيجمل
البيت عن يساره فيطوف به سبعة أشواط أي مرات . ويستلم من
الأركان الركنين اليمانيين لأنهما على قواعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام
دون الشاميين لأنهما في داخل البيت

والركنان اليمانيان هما الجنوبيان ويسمى الذي فيه الحجر الأسود منهما
[الركن الأسود] إذا ذكر وحده وإذا ذكر الآخر وحده قيل الركن اليماني.
والشاميان هما الشماليان فإذا ذكر كل منهما وحده قيل [الركن الشامي] وهو
المقابل لبلاد الشام [والركن العراقي] وهو المقابل لبلاد العراق ، وإنما يقال
في تثنيتهم اليمانيان والشاميان من باب التغليب

هذا وإن في الحج ثلاثة أطوفة : طواف القدوم الذي ذكرناه ،
وطواف الإفاضة وهو ركن من أركان الحج باتفاق الأئمة ووقته بعد
الوقوف بعرفة ، وطواف الوداع وهو واجب عند الجمهور ومندوب عند
المالكية . والحاج وغيره أن يكثر من طواف التطوع ما استطاع

﴿ السعي بين الصفا والمروة ﴾

السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة عند الجمهور ،
وعند الحنفية واجب غير ركن ، ويشترط أن يكون بعد الطواف . وعند

المالكية يجب ذلك وليس بشرط ، ويجب عندهم الموالاة بينه وبين الطواف، وقال الجمهور أنه سنة لا واجب. ويطلق على السعي اسم الطواف والخطوف كما ثبت في القرآن والاحاديث ؛ واختار الفقهاء اسم السعي للفرقة بينه وبين الطواف بالبيت

وكيفيته أن يبدأ بالصفا فيصعد إليها ويستقبل البيت (الكعبة) فيهلل ويكبر ويدعو الله تعالى ثم ينزل ويذهب الى المروة فإذا انتهى إليها توجه الى جهة المسمى ليكون مستقبلاً للبيت ويدعو الله تعالى كما دعاه عند الصفا ؛ فهذه مرة، ثم يعود الى الصفا ثم الى المروة الى أن يتم سبعة أشواط يرمل في ثلاثة منهن بين الميادين الأخضرين (وهما عمودان في جدار الحرم) والرمل سرعة في السعي، ولا يشترط في السعي ما يشترط في الطواف من الطهارة ولكن يستحب ، ويجوز السعي راكباً ومشياً والمشى أفضل للقادر عليه .

روى مسلم وغيره من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دنا من الصفا قرأ (ان الصفا والمروة من شعائر الله) وقال «أبدأ بما بدأ الله به (وفي حديثه عند النسائي «أبدؤا بما بدأ الله به») فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى إذا رأى البيت استقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال : « لا إله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير : لا إله الا الله وحده . أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » ثم دعا بعد ذلك فقال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة - الحديث ؛ وفيه انه فعل في المروة كما فعل في الصفا . فينبغي ان يحفظ هذا وان يدعو الساعي بعده بما يفتح الله به عليه لنفسه وأهله وأخوانه وأُمَّته

(تذيه) ان المكان الذي كان يرقى النبي صلى الله عليه وسلم اليه على الصفا قد بني عليه والصعود اليه ليس شرطاً لصحة السعي فمن وصل الى أسفل البناء هنالك وسعى ولم يصعده أجزاءه ذلك ولكن الافضل ان يصعده لموافقة السنة في الصعود

﴿الوقوف بعرفة﴾

يخرج الحاج من مكة يوم التروية (وهو الذي قبل عرفة ويسميه العوام بمصر والشام [يوم العرفة] ويسمون يوم عرفة [يوم الوقفة] محرمين لان من كان متمتعاً يحرم في ذلك اليوم كاحرامه من الميقات ، والسنة أن يحرم كل واحد من المكان الذي هو نازل فيه، وله أن يحرم من خارج مكة ان كان غير مكّي فان المكّي انما يحرم من أهله ، والسنة أن يبيتوا بمنى ولا يخرجوا منها حتى تطلع الشمس كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن يسبروا منها الى [نمرة] عن طريق [ضب] من يمين الطريق وهو موضع في حدود عرفة بـ [بطن عرنة] . فيقيموا فيها الى الزوال ثم يسبروا منها الى بطن الوادي وهو الذي صلى النبي صلى الله عليه وسلم فيه الظهر والمصرق قصرًا وجهاً وخطب ، فيصليها الحاج كذلك ويخطب بهم الامام . وهناك مسجد يقال له مسجد ابراهيم بنى في أول دولة بني العباس ثم يذهبون الى عرفات والعدول عن هذه الطريق الى طريق [المأزمين] ودخول [عرقة] قبل الزوال كلاهما مخالف للسنة ولكن لا يجب به شيء ، لانه ليس تركا لشيء من واجبات الاحرام .

ويقفون بعرفات الى غروب الشمس فاذا غربت خرجوا من بين العلمين أو من جانبيهما . ويجتهد الحاج في الذكر والدعاء في هذه العشية فهي أفضل الاوقات لهما وأرجاها للمغفرة والرحمة . ولم يمين النبي صلى الله عليه وسلم لعرقة دعاءً ولا ذكرًا ليجتهد كل انسان في ذلك بقدر معرفته وحسب حاجته . فيهلل ويكبر ويدعو ماشاء الله من الادعية الشرعية . ويسن الغسل يوم عرفة ، ولا يسن الصعود الى الجبل الذي هناك الذي يسمى جبل الرحمة ، وهو جبل إلال — ولا دخول القبة التي فوقه التي يقال لها قبة آدم ولا الصلاة فيها . والسنة أن يفيضوا من عرفات

عند الخروج على طريق [المأزمين] فإن النبي (ص) خرج منها على هذه الطريق لأنه دخلها من طريق [ضب] فسنته في المناسك كسنته في الاعمال والمواسم ، اذا جاء من طريق رجع من أخرى ، كما كان يدخل المسجد من [باب شيبة] ويخرج بعد الوداع من [باب حرورة]

﴿ المبيت بمُزْدَلِفَةَ ورمي الجمار بمنى ﴾

يسن المبيت بمزدلفة بعد عرفة فهي المشعر الحرام الذي قال الله فيه (فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) والوقوف عند [جبل قزح] أفضل ، ثم يفيضون من المزدلفة بعد صلاة الفجر فاذا أتوا منى رموا [جمره العقبة] بسبع حصيات ولا يرمون يوم النحر غيرها . وكيفية الرمي ان يستقبل الجمره بحيث يكون البيت عن يساره ورمي عن يمينه ويرفع يديه بالرمي ويكبر مع كل حصاة . وان شاء قال مع ذلك : اللهم اجعله حجاً مبروراً وسعياً مشكوراً وذنباً مغفوراً . ويستحب تكرار التلبية بين المشاعر كالذهاب من عرفة الى مزدلفة ومن مزدلفة الى منى ، ولم يصح في السنة التلبية في عرفة ولا مزدلفة ، فاذا شرع في رمي الجمره استقبل التكبير بالتلبية — أي جعل التكبير للعيد بدلا من التلبية للحج ، لانه حينئذ يشرع في التحلل الذي تنتهي به المناسك . ومتى رمى جمره العقبة نحر هديه ان كان معه هدي . وكل ماسيق من الانعام من الحل الى الحرم فهو هدي بالاتفاق ويسمى أضحية أيضا ، وأما ما يذبح يوم النحر في الحل فانه أضحية وليس بهدي . وأما ما يشتري في منى أو غيرها من أرض الحرم ويذبح فيها فهو ليس بهدي عند المالكية وعند الاثنية الثلاثة يسمى هديا . ويقول عند نحر الابل وذبح غيرها : بسم الله والله أكبر . اللهم ملك والى اللهم تقل مني كما تقبلت من ابراهيم خليلك .

﴿ الحلق أو التقصير ﴾

بعد رمي جمره العقبة يحلق الرجل شعر رأسه أو يقصره بأن يقص منه مقدار الأئمة أو أقل أو أكثر ، وتقص المرأة ولا تحلق ولا تزيد على قدر الأئمة . والاتفاق أو التقصير ركن من أركان الحج لا يتم الا به في مذهب الشافعي وعند الجمهور

واجب لاركن. وبالحاق أو التقصير يكون التحال الاول من الاحرام فيحل به للمحرم ما كان محرما عليه بالاحرام الا النساء
وبعد هذا يأتي الحاج مكة فيطوف طواف الافاضة الذي هو طواف الركن
كما تقدم فاذا طاف هذا الطواف حل له كل شيء مما ذكر حتى النساء
ثم يرجع الى منى فيرمي بقية الجرات ، والافضل ان يرميها في أيام التشريق
الثلاثة وله ان يرميها في يومين لقوله تعالى (واذكروا الله في أيام معلومات فمن
تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى)
ويستحب في رمي الجمار ان يكون بعد الزوال وان يبدأ بالاولى وان يكبر مع
كل حصاة . ويدعو فيطيل الدعاء . واذا قال في دعائه : اللهم اجعله حججا مبرورا
وسعييا مشكورا وذنبنا مغفورا — فهو حسن

﴿ طواف الوداع ﴾

تقدم حكمه وينبغي ان يكون هذا الطواف آخر عهد حجاج الآفاق بمكة
ليكون مسك الحتام
انتهت الاحكام ولم نشأ نشر [حكم المناسك واسرارها] في هذا الجزء من
المنار لانها منشورة في [باب الفتوى] من المجلد السادس عشر فليرجع اليها من
شاء في ص ٦٧٥

مَدَنِيَّةٌ دَارُ الدَّعْوَةِ وَالْإِنشَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق هديفي

١٣

Tuberculosis الدرن

يراد بهذا الداء تكون أجسام صغيرة في عضو أو أكثر من أعضاء الجسم^(١) ويسمي الأطباء المحدثون هذه الجسيمات بالدرنات أو الدرن^(٢) وهي تنشأ من باسيل اكنشفه العلامة الألماني كوخ سنة ١٨٨٢ ميلادية
أوصاف هذا الباسيل — هو عصيات مستقيمة أو منحنية قليلا طولها نحو ٣ ميكرونات وعرضها ٥٥٠ من الميكرن، ذات أطراف مستديرة في كل منها نقطة لامعة أو أكثر ظن سابقا انها حبيبات للميكروب ، والحقيقة انه لا يتوالد الا بالانقسام وهو عديم الحركة ولا أهداب له (خلافا لما ذهب اليه بعض الباحثين) ويعيش في الهواء وفي غيره من الغازات بل في الفراغ ، وأحسن حرارة تناسبه ما كانت درجتها ٣٧ ستجrad ولكن نموه بطيء جدا

تركيب الدرن — تتكون كل درنة من خلايا تحيط بها تشبه كريات الدم البيضاء وفي داخلها خلايا تشبه خلايا البشرة وفي مركزها خلية أو أكثر كبيرة ذات نويات عديدة . وقد يوجد بين هذه الخلايا منسوج آخر دقيق جدا يؤلف بينها . ويوجد الميكروب بين هذه الخلايا أو فيها خصوصا حول الخلية المركزية الكبرى أوفيهما كما في درن الحيوانات . وفي بعض الأحوال تكون هذه الخلية

(١) قد يصيب أي عضو من الجسم أو أي جزء منه وتكثر اصابته للرئتين ويقل للشغاف (الغشاء المحيط بالقلب) (٢) أصل معنى الدرن في اللغة الوسخ (المنار : ج ٤) (٢٩) (المجلد التاسع عشر)

معدومة وفي البعض الآخر تكون الخلايا البشرية كذلك معدومة فتتكون الدرنه من خلايا كالكريات البيضاء فقط . وقطر الدرنه الواحدة عادة مليمتر واحد أو اثنان . وتشاهد الدرنات في هذا المرض بوضوح في الرئتين أو الكبد أو الكليتين وكلما كبرت الدرنه مات وسطها وذلك اما لعدم وصول أوعية الدم إليه أو لسبب الميكروب أو للسبين معاء فاذا مات الوسط صار مصفرا وقوامه كالجبين وهذا الوسط الميت يزداد اتساعا بينما يحيط الدرنه يُغِير على ما أحاط به من الأنسجة وهلم جرا . وهذه الدرنات تنشأ بسبب تهيج العضو بالميكروب فتتكاثر الخلايا حوله بانقسامها الى عدة أقسام . وتهرع اليها الكريات البيضاء لمقاتلتها فتحيط بها فيصيرها ماذكر . وباجتماع هذه الدرنات بعضها مع بعض تتكون درنات كبرى فينشأ من ذلك أخرجه (جمع خراج) في العضو المصاب

وقد تتحول الدرنه الى مادة كلسية (جيرية) يرسوب فسفات الكالسيوم فيها على الاكثر فيموت الباسيل ويشفى العليل وهذه الدرنات تحدث تهيجا في الاعضاء وقد يكثر حولها المنسوج الليفي الضام . ويجوز أن يغير هذا المنسوج على الدرنه ويطبق عليها فتضمحل وتنقص حتى تستحيل الى نقطة ليفية وبذلك يشفى الدرن أيضا

أما اذا كانت قوى المريض ضعيفة فتلتهب الأنسجة حول الدرنات وتزداد حالة العليل سوءا فوق سوء ، وفي آخر الامر تتفحج الدرنات وما حولها ويشترك مع هذا الميكروب ميكروبات أخرى فتتكون أخرجه وكهوف كما يحصل كثيرا في رئة المسلاوين

الاسباب - ميكروب هذا الداء منتشر كثيرا بين الناس وبعض الحيوانات . ولمعرفة كيفية العدوى به يجب أن نقسم البحث هنا الى مسألتين : -

(الاولى) الاستعداد الشخصي : للوراثة تأثير عظيم في العدوى بهذا الداء فانه يغلب حدوث هذا المرض في أولاد المسلاوين . ولا يتوهم أحد أن الذي ينتقل من الوالد الى ولده هو الميكروب بل استعداد خاص فقط اللهم الا في أحوال نادرة جدا ، ولذلك كثيرا مايولد الولد في صحة لا بأس بها أو جيدة ثم يصاب بعد ذلك بالدرن

وهناك مهيئات كثيرة للعدوى تسبب نهاكة القوى فيضعف الشخص عن مقاومة الميكروب فيقهره ، وأهم هذه المهيئات (أ) الازدحام وفساد الهواء بأي سبب كان (ب) قلة الاغذية (ج) اجهاد قوى الجسم فوق طاقته بأي عمل كان ككثرة العدو أو الانهماك في الجماع أو في السهر أو جلد عميرة أو المطالعات الطويلة والمباحث العقلية العنيفة خصوصا اذا صاحبها الفقر وفساد الهواء (د) كثرة الحمل والولادة أو الارضاع (هـ) كثرة التردد الى الأماكن الرطبة المظلمة التي ينذر دخول الشمس فيها (و) الحمى التيفودية (ز) الاسراف في شرب الخمر (ح) البُوال السكرى (ط) الزهري اذا أهمل حتى أفسد البنية

هذه هي المهيئات العامة وهناك مهيئات أخرى خاصة بالعضو المصاب ويسمونها بالمهيئات الموضعية مثل كثرة النزلات الشعبية أو الرئوية وتهيج الرئة ببعض الغازات أو بغبار بعض المعادن وغيرها كما يحصل في المصانع

وللعمر تأثير كبير أيضا في العدوى فترى ان الدرن كثيرا ما يصيب الصغار ففي الاطفال تشاهد كثيرا إصابتهم بدرن السحايا أو البريتون أو الغدد اللمفاوية أو العظام أو المفاصل ، وفي الشبان كثيرا ما نشاهد الدرن الرئوي (وهو المسمى بالهرية السِّل أو الهُلَّاس) وأما الاشخاص الذين عمرهم فوق الاربعين فتقل إصابتهم بالدرن ولا ينافي ذلك أنه يصيب الشيوخ أحيانا قليلة وفي تلك الحال يغلب أن تكون إصابتهم مزمنة أي ان المرض بدأ فيهم قبل الاربعين

(المسألة الثمانية) مدخل الميكروب : يدخل الميكروب الجسم من طريق الجلد أو الرئتين أو القناة الهضمية

(أ) طريق الجلد وهو نادر الوقوع غير انه يشاهد أحيانا ثؤلول في أيدي المشرحين لجثث المسولين ، وفي هذا الثؤلول توجد ميكروبات الدرن وقد تنتشر منه الى الرئتين أو غيرها

وهناك درن يصيب الجلد يسميه الافرنج [لوپس Lupus] اخذا من كلمة لاتينية معناها [الذئب] لان هذا الداء يصيب كثيرا الوجه فتأكل أجزاء كثيرة منه تأكلا يشبه نهش الذئب . ولكن هذا الدرن الجلدي قل أن ينتشر

٢٢٨ مدخل ميكروب الدرن في الجسم [المنار: ج ٤ م ١٩]

ميكروبه في الاحشاء . وهذا الطريق الجادي غير مهم في الغالب
(ب) طريق الرئة وهو طريق مهم جدا . ولا يكفي لحصول الداء من هذا
الطريق مجرد استنشاق بعض نفس المسلول أحيانا ، ولكن يحدث المرض اذا كثر
الاختلاط بالمريض والقرب منه حتى يشتدشق الانسان الهواء المشتمل على ذرات
تخرج من صدر المسلول أثناء سعاله فتنتشر في الهواء المحيط به ، أما نفسه الهادئ
فلا يوجد فيه الميكروب . واذا بصق المريض على الارض أو غيرها وجف البصاق
تطايرت منه أجزاء فيها الميكروب وتكون خطرا شديدا على مستنشقيها

ويكثر وجود الذرات التي فيها الميكروب على بعد نصف متر من فم المصاب
فاذا بعدت عنه مترا ونصف متر قل أن يصيبك منها شيء

وهناك بعض الحيوانات الداجنة التي تصاب بالدرن كالبيغاء وتكون أيضا
سببا في العدوى بهذا الداء من هذا الطريق

ومن الحيوانات الاخرى الداجنة التي تكثر اصابتها به الخيل ويقل وجوده
في الكلاب والقطط

(ج) طريق القناة الهضمية وهو أهم الطرق فان كثيرا من الحيوانات التي
تؤكل يوجد فيها هذا الداء اذ انه كثيرا ما يصيب البقر والخنازير والدجاج والارانب
وخنازير الهند ، أما المعز فقل أن تصاب به وكذلك الضأن

وابن هذه الحيوانات يشتمل كثيرا على باسيل الدرن اذا أصيبت ضرعها به ،
ولما كانت معرفة الضرع المصابة عسيرة في أول الامر كان من الواجب اتقاء شرب
اللبن الا بعد غليه مدة خمس دقائق على الاقل . وقد يوجد الميكروب في لحم هذه
الحيوانات وأحشائها . ونظرا لانتشار الدرن في البقر يشاهد هذا الداء كثيرا في
بطون الاطفال الذين ير بون بلبنها . وقد دلت التجارب أن الحيوانات الصغيرة اذا
ابتلعت ميكروب الدرن نفدت في جدر أمعائها وأصاب غدد المساريقا فينشأ عنه
مرض هذه الغدد أو تدرن معوي أو بر يتوني وقد يصل بعد مضي زمن الى أجزاء
الجسم الاخرى فيصيب الغدد العنقية ويحدث داء الخنازير وقليل ما يصيب رثي
الصغار . أما الشبان فاذا نفذ الميكروب خلال أمعائهم لم يصيبها شيء حتى يصل

إلى الرئتين فيحدث السل الرئوي . وهذا الفرق يشاهد أيضا بين الصغار والشبان إذا حقنوا بذرات من الكربون (الفحم) فتبقى في بطن الصغار وتصل إلى رئة الكبار . ومن ذلك استدلل بعض العلماء على أن الرئتين قد تصابان بالسل من طريق البطن إذا أكل الشخص لحما أو لبنا مصابا بل رجح هؤلاء العلماء أن إصابة الرئتين بالسل من هذا الطريق هي أكثر حدوثا من طريق التنفس

وفي أكثر الأحوال تكون الإصابة بالدرن موضعية في أول الأمر يعني أنها تكون قاصرة على عضو واحد ومن ثم قد تنتشر تدريجيا إلى الأعضاء الأخرى إما بسير الميكروب خلال الأنسجة أو بسيره في الأوعية اللمفاوية . وهناك درن عام تصاب به فجأة أعضاء كثيرة من الجسم دفعة واحدة ولكن يكثر في مثل هذا النوع أن يكون مسبوقا أيضا بإصابة صغيرة موضعية كدرن الخصية مثلا أو غدد العنق أو غير ذلك

ومما سبق يعلم أن أهم أنواع الدرن اثنان — الدرن العام والدرن الرئوي :

الدرن العام أو الدخني

سمي هذا النوع بهذا الاسم لأن الدرنات تكون منتشرة في جميع أجزاء الجسم تقريبا وتشبه حبات الدخن إذا نثرت فيها

الأعراض — هذه الأعراض تكون في أول الأمر مبهمه فيشتكى المريض من ضعف عام ونحافة واقهء (فقد شهوة الطعام) وصداع وحى وقد يوجد أثر من الزلال في البول وتسوء حال المريض شيئا فشيئا ثم تظهر أعراض أخرى تعين إصابة الرئتين ككثرة السعال والبصق أو يصاب الشخص بأعراض تعين إصابة البطن كالاسهال المتعاصي والمنغص أو بأعراض أخرى تعين إصابة السحايا كالتهنجات والشلل . والمراد بذلك أن تكون أعراض انتشار الدرن في الأعضاء المذكورة أظهر من انتشارها في غيرها وإن كانت كلها مصابة به

ويحصل الموت في مدة تتراوح بين ٣ أسابيع إلى ١٠ ولا يعلم باليقين أن أحدا أصيب بهذا الداء وشفى منه

المعالجة — عديمة الجدوى وإنما تعالج الأعراض فقط ، ويعطى المريض السوائل المغذية وبعض المنعشات مع بعض مركبات الأفيون لتسكين الألم والسعال، ومن المنعشات النافعة جدا النوشادر ، ويجب أيضا ان تكون سكنى المريض في الأماكن التي تكون طلبة الهواء وتمخلها الشمس كثيرا

الدرن الرئوي أو السل

هذا الداء يصيب الرئتين بسبب تهيج باسمله لمسوجها فتتكون الدرنات ويلتهب ما حولها فيتصلب منسوج الرئة ثم يتقيح ويتحول الى تجاويف مملئة بمدة وصديد تسمى بالكهوف . ويكون ميكروب الدرن مصحوبا بميكروبات أخرى من الانواع البزيرية غالبا اذا حدثت هذه التغيرات المذكورة أخيرا فانها تساعد في احداثها

الاعراض — سير هذا الداء مختلف فبعضه يكون سريعا والبعض الآخر يكون بطيئا فيمكن عادة من ستة أشهر الى بضع سنين وأهم أعراضه السعال وضيق النفس والبصق الصديدي والنحافة الزائدة والحى ونزف الدم من الصدر

وتبدأ هذه الأعراض بطرق مختلفة ، ففي كثير من الاصابات تبدأ بالسعال وبصق المخاط مع الصديد زمنا ما ، وكثيرا ما يتوهم الشخص أن داءه من البرد فلا يعبأ به كثيرا في أول الامر ، وفي حالات أخرى تبدأ بالنزف الرئوي ، وفي هذه الحالات قد يكون الشخص متمتعا بالصحة فيندش بمفاجأة النزف الرئوي له بعد سعال خفيف فيخرج منه بضعة دراهم أو أوقية وقد يزيد الدم الى نصف لتر وبعد زمن تظهر باقي الأعراض ، وقد يعاوده النزف عدة مرات . وفي حالات قليلة يبدأ المرض بشكل التهاب رئوي أو التهاب بليوراوي مع انسكاب في الصدر . وهناك بعض الحالات التي تبدأ باضطراب في الجهاز الهضمي فيصاب الشخص بالاقهاء مع القيئ المتكرر والنحافة ثم تتم باقي الأعراض المذكورة

مضاعفات هذا الداء

الجهاز التنفسي — يصاب بالتهاب الحنجرة ، فيصح صوت المريض وفي بعض

الاحوال النادرة قد يكون ذلك أول ما يلاحظ على المريض. ويصاب هذا الجهاز أيضا بالتهاب البلعور كما سبق مع الانسكاب المصلي أو الانسكاب الصيدي أو الدموي أو تخرق الرئة فيدخل الهواء في تجويف الصدر وبذلك يطل تنفس الرئة المصابة الجهاز الدوري — يصاب القلب بالضعف والتمدد في الاحوال المزمنة . وقد يصيب الدرن بعض شرايين الرئة فيفجرها ويحصل بسبب ذلك نزف شديد قد يكون سببا في الموت العاجل

الجهاز الهضمي — يصاب كما قلنا بالإقياء والغثيان والقيء وعسر الهضم والاسهال وهو كثير الحصول في درجات المرض الأخيرة . وقد يصاب البريتون أيضا بالندرن ، وقد تصاب الكبد والطحال والكليتان والامعاء بتغير مخصوص في أنسجتها يسمى عند الأطباء [الارتشاح الشمعي Waxy degeneration]
ويشاهد أحيانا ناسور في الشرج بسبب هذا الداء أيضا

الجهاز العصبي — قد يصاب بدرن في السحايا وقد تصاب أعضاء أخرى بالدرن فتزيد المرض شدة فوق شدته
نهاية المرض — يحصل الموت بهذا الداء بالطرائق الآتية : نهاكة القوى أو التروف أو اختراق الرئة أو التهاب السحايا أو انتقاب الامعاء أو التسمم البولي
الانذار — اذا اكتشف هذا الداء في أول درجاته فقد ينجح فيه العلاج ويشفي منه المريض غير أن أثر الدرنات يبقى في الرئة . وفي بعض الاحوال يسرع الموت الى المريض في أشهر قليلة وقد يمكث المصاب به عدة سنين قد تمتد الى الخمسين

المعالجة — لا يوجد دواء لهذا الداء محقق النفع ، وإنما يتلخص العلاج في الكلمات الآتية . يوضع المريض في أصح الاهوية وأجودها وأكثرها تعرضا للشمس ، ويكثر من الراحة والنوم لتوفير قواه وكذلك يكثر من الاغذية الجيدة السهلة الهضم كاللبن والمص والعلل واللحوم بأنواعها الى غير ذلك ، واذا اشتدت الحمى أو أصاب المريض الاسهال وجب عليه الاقتصار على الاغذية السائلة . وبالاختصار يجب اتباع جميع القوانين الصحيحة حتى تقوى البنية فتغلب على المرض

ويعطى للمريض الادوية المتقوية كزيت السمك والحديد (بشرط ان لا تكون حرارة المريض مرتفعة جدا) والزرنيخ والكينين وغير ذلك ، وهناك أدوية مطهرة مصدر يعرفها الأطباء فلا حاجة لذكرها هنا
ويجب أثناء المرض ان يبادر الطبيب بعلاج كافة الاعراض والمضاعفات بجميع الوسائل الممكنة السريعة التأثير حتى لا تنهك قوى المريض
الوقاية — تكون بما يأتي : —

(١) يتجنب المريض البصق على الارض أو في أي مكان يمكن أن يتصل منه الميكروب الى الاصحاء . ومن أحسن الوسائل أن يكلف المريض بالبصق في مباحق خاصة (منها ما يحمل في الجيب) ويوضع فيها محلول مطهر كحامض الفينيك بنسبة ١/٣ من الماء . وإذا بصق في منديل وجب حرقه أو غليه غليا طويلا قبل أن يمسسه أحد

(٢) يجب على كل شخص أن يتقي القرب من المريض حتى لا يكون في طريق الذرات التي تتطاير منه أثناء السعال وغيره فلا يجوز النوم معه في الفراش أو الجلوس بالقرب منه . ويجب على المريض أن يتحاشى الزواج خدمة لنفسه حتى لا تضعف قواه ولا يأتي بنسل ضعيف وخدمة للامة بعدم عدوى النساء وبعدم إيجاد ولد له يكون ضعيفا أو مصابا بالسل مثله

(٣) يجب تهوية الاماكن التي يسكنها المسالون وتعرضها لشعاع الشمس كثيرا وتنظيفها دائما بالمحاليل المطهرة وغلي كل ما فيها من أواني وملاآت وغيرها
(٤) يجب ان تتقي الامهات المسلولات ارضاع أبنائهن

(٥) يجب على الناس كافة طبخ لحوم الحيوانات طبخا جيدا وتقطيع اللحم الى قطع صغيرة مع اطالة مدة الغلي حتى تصل الحرارة الى ما قد يكون في باطنها من ميكروب الداء، فقد ثبت أنه اذا زادت قطعة اللحم عن ستة أرطال فلا تكون درجة الحرارة في باطنها كافية لقتله. وكذلك يجب غلي اللبن غليا جيدا مدة خمس دقائق على الأقل . واذا علم أن حيوانا مصابا بالدرن وجب اجتنابه وتحاشي أكله أو شرب لبنه وإبعاده عن الحيوانات الأخرى السليمة . وهناك طريقة لتمييز الحيوانات المصابة

[المنار: ج ٤ م ١٩] العرب والإسلام والترك الاتحاديون ٢٣٣

بالدرن عن غيرها ، وذلك باستعمال (التيوبركيواين) وسيأتي الكلام على ذلك تفصيلا . وإلاحظ عدم الفلوف في غلي اللبن كأن يوضع في اناء مغلق وتطول مدة الفلي فانه قد ثبت أن ذلك يفسد بعض مواده الضرورية لحياة الجسم ، فاذا اقتصر الشخص على شرب مثل هذا اللبن المبالغ في تعقيمه كالاطفال مثلا فقد يصاب بداء الكساح أو بالاسكربوط ، فلذا يجب الاعتدال في تطهير اللبن

وإذا خيف على الطفل من هذين الداءين فيحسن تغذيته بالاشياء الآتية مع اللبن وهي القشدة وزيت السمك وعصير البرتقال المحلى بالسكر أو بالعسل ومرق اللحم ، وإذا كان للطفل بعض أسنان فلا بأس في اعطائه قليلا من الموز بعد عجنه ولو باليد النظيفة

(٦) يجب على كل شخص أن يتجنب كل ما ينهك القوى ويفسد الصحة كالسكنى في اذماكن الماسدة لهواء أو الاهمك في الدخول الى الاماكن المكتظة بجماهير الناس كالمسارح و[دور الصور المتحركة] ونحو ذلك ويتجنب السهر الطويل واجهاد الجسم أو العقل وكثرة الجماع أو جلد عميرة وادمن الخمر ، وينبغي الاكثار من الرياضات البدنية مع الاعتدال واستنشاق الأهوية البقية — كاني في الفلوات والبحار — وتماطي الاغذية الجيدة السهلة الهضم والاكثار من النوم واتقاء شرب الدخان واستنشاق الغزازات والابخرة المتصاعدة من النيران والمصانع وغيرها ، وبالجملة فالواجب التزام قواعد الصحة كافة وعدم التهاون في شيء منها .

العرب والإسلام

والترك الاتحاديون

ان قراء المنار بعد الانقلاب العثماني يعلمون أن الجرائد الاسلامية الهندية أول من رمى الاتحاديين بالتفكر والإلحاد ، وان المنار كان أول الصحف الاسلامية دفاعا عنهم ، ولما كثر الخلاف في أمرهم رحلنا الى الآستانة بعد تمهيد مع جمعية الاتحاد والترقي المركزية للقيام بمشروع الدعوة والارشاد في الآستانة والسعي في التوفيق (المنار: ج ٤) (٣٥) (المجلد التاسع عشر)

٢٣٤ العرب والاسلام والترك الاتحاديون [المزار : ج ٤ ، م ١٩]

بين الترك والعرب وكانت نواجم الخلاف والتخاصم قد نجمت وامتدت من العاصمة الى الولايات . وقد اقيمت في الآستانة سنة كاملة اختبرت فيها الاتحاديين اختبارا تاما لا أزال أرى في كل سنة من الآيات ما يؤيده وتقنني بأنني قد سبقت الى إدراك ما لم يدركه كله العثمانيون ولا لاجانب

ولو كنت ممن يبيع دينه وقومه بالمال والجاه كالشيخ عبد العزيز جاووش لأمكنني ان أنال في الآستانة من الاتحاديين أنفسهم ما لا مطمع لغيري في نيل مثله . فقد مناني الاتحاديون أعظم الاماني لانهم كانوا يظنون انني مادافعت عنهم ورددت على من سبق الى رميهم بالكفر والحاد وفساد هذه الدولة الا لان اسلامي سياسي يدور مع المنفعة الشخصية اني دارت

وبل لم قراء المزار انني قد حملت على الاتحاديين بعد عودتي من الآستانة حملات منكرة لم يحمل عليهم أحد بثقلها في الشدة ، كما يعلمون انني لم أكتب شيئا يذ في مصلحة ندولة العثمانية نفسها ، ولا شيئا ينافي الإخاء الديني بين العرب والترك ، فأنا لم أعاد الدولة ولا الترك ببيان فضائح الاتحاديين . بل أعتقد أن كل ما كتبه كان خدمة للاسلام وللدولة ، وان الموافقين لي عليه من علماء الترك وجمهور المتدينين فيهم أضعاف الموافقين لي عليه من العرب ، لان الذين كانوا يعرفون مقاصد الاتحاديين الاحادية من العرب قليلين جدا ولعلهم لم يكثروا الا بعد أن رأى من رأى خواص العرب في سورية مصلوبين في أعظم مدنها عمرانا وسمع من سمع بأخبارهم ثم بما كان من أمرهم مع الشريف الاكبر أمير مكة المكرمة

وقد كتب بعض العرب العثمانيين من اسرى الحرب وغيرهم مقالات في مقاصد الاتحاديين وعداوتهم للعرب وللإسلام نشروها في المقطم والاهرام فظن كثير من المصريين انها مقالات مصنوعة افتحراها كتاب الجريدتين حتى ان منهم من لم يصدق ما نقل عن كتاب [قوم جديد] وكتاب [اتحاد اسلام] وأما لم يصدق هؤلاء هذه الاخبار لانهم لا يريدون ان يصدقوا ما لا يلد لهم تصديقه ، ولو كانوا ذوي خبرة على الدولة والدين وحرص على بقائهما كحرصهم على لذتهم وراحة بالهم لتحرروا وبجثوا عن أصل كل ما يقال في هذا الموضوع ليكونوا على بصيرة من أمر

أعظم الاشياء موقعا من أنفسهم وأهمها لديهم
كان مقصد الاتحاديين خفيا ثم عرف رويدا رويدا ، ثم اشتهر وتواترت أخباره
في جميع الامم . واننا ننقل من ذلك عن جريدة الاهرام ما يأتي :

الاسلام والجامعة الطورانية

كيف يسمى الاتحاديون للاشاة الحضارة الاسلامية (*)

كتب مراسل شركة [سنترا نوز] الخاص يقول :

في خلال بضع السنوات الاخيرة بدت في بلاد تركيا طلائع حركة جديدة
تعرف بنهضة « بني طوران » أو [الطورانية الحديثة] وغرضها هدم المدنية الاسلامية
واحياء العصبية التركية على انتاضها والجمع بين العناصر التركية التنرية والشعوب
المنتمية اليها ومنها الامة البلغارية . أما القائمون بهذه الحركة فهم قوم مشهورون بعدائهم
للإسلام وتعصبهم عليه ، وكثيرا ما يجاهرون بأقوالهم وكتاباتهم بذلك الكره بحجة ان
الاسلام يسعى لقتل العصبية القومية ويحول دون نشوء المدنية التركية ولذلك فهم
يسعون لجعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام كل الاستقلال

ومما يقولونه أيضا ان الاسلام لا محل له في المدنية ولا يمكن ان يعيش طويلا
الا اذا أدخلت عليه تقييدات عديدة تلائم المذاهب التركية القومية

ولهذه النهضة وجهتان احدهما أدبية والاخرى سياسية . فغاية الوجهة الاولى
تمجيد الشعوب الطورانية ونشر تاريخها المجيد . وغاية الوجهة الثانية القضاء على
العصبية العربية . فمختبر خا . هو في نظرم نموذج الملوك ورجال السياسة فكل مملكة
ينشؤونها يجب ان تقوم على المثال الذي رسمه . وأما العرب في نظرم فهم مصيبة
على الاتراك . ولذلك يجب القضاء عليهم أو ادماجهم في العنصر التركي حتى ينسى
العالم تاريخهم وتقاليدهم . أما لغتهم فلا بد من محوها واحلال اللغة التركية محلها في
كل صقع وناد

(*) نشرت في العدد الذي صدر من الاهرام في يوم الخميس ١٦ ذي القعدة

١٤٤٠ هـ

والغريب ان كتاب الاتراك الحاليين الذين يدعون بأنهم وطنيون بكل معنى الكلمة ينشرون اليوم المقالات الضافية ويحثون أبناء قومهم على الطواف بجميع أنحاء السلطة للمناداة بهذه البدعة الجديدة ومن أغرب ما يروى من هذا القبيل ان أحد الاتراك طاف حديثا بسوريا وهو ينادي بهذه الضلالة

والحكومة الاتحادية تؤيد الآن جمعية « بني طوران » وتعززها بالاعانات المالية العديدة وتسمي تلك الاعانات « باعانات المليّة التركية » وجميع كبار الاتحاديين أعضاء فيها وهم يعيدون عن الاسلام بعد الارض عن السماء. والمسلمون ينكرونهم لما يرون منهم من الاعتداء على حدود الشريعة الغراء.

ولا يخفى ان الالمان هم الذين يؤيدون الاتحاديين في هذه السياسة الخرقاء فقد ثبت لهم الآن انهم لا يستطيعون اخضاع الاسلام لسياستهم ولا هم نجحوا في اثارة المسلمين الخاضعين لفرنسا وانكثروا على هاتين الحكومتين. فانقلب زعمهم العطف على الاسلام الى كره شديد له وأخذوا يسعون ضده مستعينين على ذلك بالجامعة الطورانية الجديدة. وقد علم العالم أجمع ما كان من أمر المذشورات الالمانية التي اكتشفها الجنرال [سمطس] في موشي والتي كان غرضها سحق الاسلام في المستعمرات الالمانية، ولذلك فالمانيا هي أكبر خطر على الاسلام مع انها تتظاهر بالغيرة على المسلمين

«*»

ليس من ينكر فضل الاسلام على العالم وما كان لمدنيته من الآثار المجيدة. أما الشعوب الطورانية فليس في التاريخ ما يدل على انها عملت عملا واحدا أفاد الانسانية بل بالعكس كانت جميع أعمالها تسميرا ونخريرا فالطورانيون لم يستنبطوا شيئا للمنفعة بل كانوا حينما حلوا أخرجوا معالم المدنية ومحووا آثارها واستعبدوا الشعوب التي يقهرونها بأساليب هي في غاية الهمجية

أما أدعاء الجامعة الطورانية بأن الاسلام قد حال دون نشوء المدنية التركية فغير صحيح. ولا يخفى ان المدنية العثمانية هي خليط من آثار المدنيات العربية والفارسية والبيزنطية والشعوب الطورانية التي لم تدخل في الاسلام لا مدنية لها على الاطلاق وانما هي استعارت شيئا من عمالة الحضارة الصينية ولو ان السلطنة العثمانية قد

اعتمدت على المدنية التركية وكانت قد أصبحت في خبر كان منذ أجيال عديدة لان المدنية التركية كما قلنا هي تخريرية لا تعميرية والشئ الوحيد الذي يفوق به الطوراني غيره هو الظلم والجور واضطهاد جميع العناصر التي لا تسبح بحمد الطورانية ونحمدل . وبسبب ذلك اعتقاده بأن جميع تلك العناصر وقفت حائلا بينه وبين تركان آذربيجان والقوقاز .

هذه رسالة شركة سنترال نيوز وقد نشرت الصحف الانكليزية كلها هذه الرسالة وبسطت فيها الكلام بسطا ضافيا

الاسلام والطورانية الحديثة

ما يفعله الاتحاديون لمقاومة الاسلام (*)

نشرنا منذ بضعة أيام فصلا عن الاسلام والطورانية الحديثة ضمناه ما نشرته الصحف الانكليزية نقلا عن شركة « سنترال نيوز » الصحافية . وقد وقفنا الآن على مقالة ضافية في هذا الموضوع نشرتها مجلة الشرق الاذن فرأينا أن نورد خلاصتها لحضرات القراء قال الكاتب :

بدأت طلائع الطورانية الحديثة في الاستانة في عام ١٩١٣ ثم أخذت تمتد وتزداد جلاء حتى أصبحت نهضة عامة في جميع انحاء السلطة العثمانية . وخلاصة ما يعرف عن هذه النهضة أنها تركية محضة غرضها الاصلي الانفصال عن الاسلام ولها أغراض أخرى عديدة ينحصر أهمها في ما يأتي :

- (١) جعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام
- (٢) ترقية الروح العسكري في الاتراك
- (٣) انشاء علاقات تجارية وغيرها مع مسلمي آذربيجان وروسيا الاسيوية وروسيا الجنوبية

(*) نشرت في العدد الذي صدر من الاهرام في يوم السبت ١٨ ذي القعدة

١٦ سبتمبر

(٤) تطهير اللغة التركية من كل ما هو عربي أو فارسي
 (٥) محو الجنسية العربية وادماجها في الجنسيات الأخرى
 ويرمي القائمون بهذه الحركة الى جعل التركي يعتقد أنه تركي قبل كل شيء
 ومسلم بعد ذلك . ويقوم بمساعدة هذه النهضة جمعية « الملة التركية » التي تؤيدها
 الحكومة الاتحادية . بالاعانات المالية . ومن مبادئ هذه النهضة تربية الاجيال
 الحاضرة والمستقبل على الروح الطوراني باانشاء مدارس طورانية بحتة . وبناء عليه
 يجب التوسع في تعليم التاريخ باللغة التركية وانشاء فرقة كشافة (سكوتس) من
 الاولاد الاتراك تحت إشراف أنور باشا . وقد أنشئت الآن هذه الفرقة وشرع
 الاولاد الذين فيها يتربون تربية عسكرية توطئة لدخولهم في الجيش . أما شارات
 الفرقة وراياتها فأخوذة عن رموز ترجع الى ما قبل الاسلام . والاولاد الذين لهم
 أسماء عربية تستبدل أسمائهم بأسماء تركية بحتة

ولهذه النهضة وجهة لغوية أيضا ولذلك أخذ زعمائها يترجمون كثيرا من
 المؤلفات العلمية والتاريخية الى اللغة التركية البسيطة وقد كان في نيتهم أن يترجموا
 القرآن أيضا ولكن علماء الاسلام قاوموا تلك الفكرة بكل عزم وحالوا دون تنفيذها
 ويعزى نشوء هذه النهضة الى عدة أسباب نذكر منها السببين الآتين وهما:
 (١) اللغة

لا يخفى أن أحرف اللغة التركية مأخوذة عن الأحرف العربية والاصطلاحات
 التركية تزداد كل يوم تعقدا وصعوبة في نظر الطبقة الساذجة
 (٢) كتاب المسيو [ليون كاهون] عن تاريخ الترك والمغول من أقدم الأزمنة
 الى سنة ١٤٠٥ للميلاد وقد توجت الاكاديمية الفرنسية هذا الكتاب ، واتفق أن
 ناظم بك سكرتير جمعية الاتحاد والترقي العام قرأ هذا الكتاب فوضع أساسات
 النهضة الطورانية التي نحن بصددتها

ولا شك أن نهضة كهذه مما تهتم العالم الاسلامي قاطبة وتهم أيضا انكلترا
 وفرنسا وروسيا وايطاليا اللواتي يحكمن على الملايين من المسلمين . والذي يشجع
 الاتحاديين على ترويج هذه النهضة اعتقادهم صحة النظرية التي ابتدعها [فيري] وهي

[المنار: ج ٤ م ١٩] حضارة الترك بفضل الاسلام . تخريب الطورانيين ٢٣٩

أن الاسلام يناقض فكرة الجنسية . فالأتحاديون يقولون ان الاسلام بالاتحاد مع العوامل العربية والفارسية والرومية والبيزنطية قد جعل الأتراك « مسلمين ليفانتين » وحال دون نشوء حضارتهم . على أن هذه الدعوى هي عكس الحقيقة تماماً فان الأتراك الذين جاءوا أصلاً من حدود الصين وانتشروا في مجاهل آسيا حتى ضفاف [الايكسوس] لم يكن لهم دين معروف أو حضارة راقية لانهم كانوا قبائل رحل يؤجرون سيوفهم لسلطان يطلب معونتهم . ولم يحاول أحد من قواد الأتراك أن يخضع جميع القبائل التركية . نعم ان [جنكيز خان] كان يحلم بنشر سلطته عليها ولكنه لم يفعل . وقد اشتهر بأنه كان يقتبس عن الصين والمعجم والعربية وبيزنطة وجرمانيا كل ما كان يروقه فيها من آثار الحضارة . ولا شك أن أهم ما اقتبسه هو الاسلام فالاسلام لم يحل دون نشوء الحضارة التركية اذ لم يكن للأتراك حضارة خاصة بهم وكل ما لدى الأتراك من حضارة هو بفضل الاسلام . ولما كانت التركي مشهورا بروح الخضوع العسكري لمن يقوده فقد جعل نفسه سيفاً في قبضة الاسلام ان العنصر الطوراني لم يشتهر بشيء من قوة الابتداع . وما تاريخه سوى تاريخ وتدمير . فقبائل [بوشي] أخرجت مستعمرات بكثريا اليونانية . وقبائل [الهون] اجتاحت رومية الشرقية ورومية الغربية اجتياحاً همجياً وقبائل [أفار] سعت لسحق الشعوب السلافية في مهابها . و[هولاكور] ردم أقيّة بابل وجعل أخصب بقاع الدنيا بلاداً قاحلة حتى الآن ، والعثمانيون أبادوا الحضارة البيزنطية التي ربوا عليها واكتسبوا منها شيئاً من العلم والمعرفة . هذه هي القبائل الطورانية التي تباهي « باتيلا » الذي كان نقمة الله على العالم ، وجنكيزخان الذي سمى نفسه « غضب الله تعالى » ولما شرع الألمان بحاربون البلجيك وغيرها من دول أوروبا أن يقتبسوا أساليب جنكيز وأتيلا وتيمورلنك



ومما يدل على أن العقل التركي ليس عقلاً مستنبطاً انه لم يات بمستحدث في الاسلام . بل هو اتخذ الاسلام ودان به كما هو . ولو كان مخلوقاً مكرراً لرايناه بعد اتحاله الاسلامية يزيد عليه أو ينقص منه ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك لمعجز مخيلته عن الاختراع

٢٤٠ محاولة انشاء امبراطورية تركية محضة [المنار: ج ٤ م ١٩]

امبراطورية تركية

ومما تسعى اليه نهضة الطورانية الحديثة انشاء امبراطورية حرية واسعة الارحاء تضم تحت الويتها جميع قبائل التتر والمغول الخاضعة لروسيا أو لاية دولة اخرى. «أما الجنسية العربية فيجب ابادتها وادماجها في الجنسية التركية المحضه لانها خطر كبير على الجنسية التركية. ومن أمثله الاتراك من هذا القبيل قولهم: وإذا لم نعامل العرب كما نريد عاملونا بما نستحق» لذلك تراهم يسعون « لتريك » العناصر العربية بحسب الاساليب البروسية

ومما يستحق الذكر أن جلال نوري بك الكاتب التركي الشهير قال في كتاب حديث الفه ما يأتي: « ان بلاد العرب ولا سيما اليمن والعراق يجب تحويلها الى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية التي يجب أن تكون لغة الدين. ومما لامندوحة لنا عنه للدفاع عن كيانتنا أن نحول جميع الاقطار العربية الى اقطار تركية لان الجيل العربي الحديث قد صار يشعر الآن بعصيته وهو يتهددنا بنكبة عظيمة فيجب أن نخطط للامر من الآن »

وكتب أحمد شريف بك مقالة في [طين] جاء فيها ما يأتي: « لا يزال العرب ياهجون بلغتهم وهم يحولون الامة التركية جهلا تاما كأنهم ليسوا تحت حكم الاتراك. فمن واجبات [الباب العالي] أن يجعلهم ينسون لغتهم ويجهلهم على تعلم لغة الامة التي تحكمهم. فاذا أهل الباب العالي هذا الواجب كان كمن يحفر قبره بيديه لأن العرب ان ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم. بل سيسعون لاسترجاع مجد مملكتهم واعادة ترميمها على انقاض دولة الاتراك »

وجاء في نبذة وزعها الاتراك في القوقاز. « ان العرب هم بلية علينا مع أن حصان التركي خير من أي نبي ظهر في العالم »

هذا وقد علقت مجلة الشرق الادنى على هذه المقالة بتوجيه نظر العالم الاسلامي الى الخطر الذي يهددهم ان هم تباطأوا عن الاحتياط لدرك ذلك الخطر

منشور شريف مكة وأميرها

انشرت الجرائد المصرية اليومية في آخر الشهر الماضي منشور شريف مكة وأميرها الذي وجهه الى العالم الاسلامي ، وانه منشور كتب بمداد الحكمة واصالة الرأي وشرف الغاية . وخصصه ان الشرفاء (أمراء مكة المكرمة) كانوا أول من اعترف بسلطة سلاطين آل عثمان الكرام لما كانت أحكام دولتهم قائمة على أساس الشريعة الاسلامي حبا في الوحدة الاسلامية وكراهة للشقاق وتفرق الحكام ، وان صاحب المنشور نفسه قد بالغ في الاستمسك بعروة الدولة حتى انه حمل بجنده من العرب على العرب وقتلهم لاجل الدولة

ثم انتقل من ذلك الى سيرة فئة الاتحاديين الباغية فبين انها قد جنت على الدين والدولة والامة فاحرقت عن صراط الشريعة وأبطلت بعض أركان الاسلام وغيرت أحكام القرآن ، وحجرت على السلطان حتى منعه من التصرف بشؤون خاصته وقصره ، ونكأت بالامة ، فلم ترع حقوق الاسلام ولا عهود الذمة ، وخصت العرب بالاضطهاد فصابت في الشام كثيرا من أهل العلم والرأي والفضل ، واستحلت مصادرة الاموال وخراج النساء المخارات والاطفال من ديارهم وأموالهم ونفتمهم الى بلاد الاناضول من غير ذنب وبغير قيم شرعي . ثم ذكر تقحمهم بالدولة في هذه الحرب وتعريضهم اياها للخطر وماجنوه على البلاد بذلك ، وذكر ما حل بالحجاز من جراء ذلك وان الضيق قد بلغ بأهل الدرجة الوسطى الى بيع أثاثهم ثم بيع خشب بيوتهم حتى الابواب والسقف

ثم بين ان بلاد الحجاز اضطرت بسبب تلك الجرائم والمفاسد العمامة التي احترحها لاتحاديون الى اعلان استقلالها بنفسها دونهم حرصا على دينها وعلى جنسيتها العربية لان الاتحاديين يتعمدون فساد هذا الدين ومحو هذه الامة العربية من لوح الوجود . وذكر ان العمامة التي وضعها الاتحاديون بمكة أرادت الانتقام من أهل البلاد فأنتمت قذات مدائنهم من حصن حياض على الحرم الشريف فأنصابت يدي الله عز وجل وقتلت كثيرا من الطائفين والمصلين فيه

٢٤٢ حول منشور شريف مكة وأميرها [المنار : ج ٤ م ١٩]

قل «وحسبنا برهاناً على ما تكمنه صدورهم نحو الدين والعرب وميهم للبيت العتيق الذي أضافته العزة الاحدية لذاتها السجانية في قوله تعالى ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ ﴾ وهي قبة المسلمين وكعبة الموحدين بقبليتين من قبل مدافعهم التي بحصن جياذ أثناء قيام البلاد بالمطالبة باستقلالها وتمت احداها فوق الحجر الاسود بنحو ذراع ونصف والثانية تبعد عنه بمقدار ثلاثة أذرع التهيبت بنارها أستار البيت حتى هرع الآلاف من المسلمين لاطفاء لهيبه بالضحيج والنحيب واضطربهم الحال الى فتح باب البيت والصعود الى سطحه لانه كن من اطفاء للهييب ، وما انتهى أمرهم بهذا حتى عززوا الاثنيين بثلة في مقام ابراهيم ، وهذا دأب ما وقع منها في بقية المسجد الذي اتخذوه هدفهم الوحيد في غالب مقدراتهم بالقتال والرمصاص ، وما زالوا يقتنون الثلاثة والاربعة في نفس المسجد كل يوم حتى تذر على العباد القرب من البيت ، وفي هذا من الاستخفاف والازدراء بالبيت ونعظيمه وحرمة ما ترك القول والحكم فيه أيضا لعموم المسلمين في مشارق الارض ومغربها »

وهذا المنشور يؤيد ما شرحناه مرارا في المنار من سيرة هذه الجمعية الباغية في الدولة والامة ، ومن اطلع عليه من قراء المنار يعجب اذ يرى أكثر مسائله في المحاور التي نشرناها في الجزء الماضي ، وسبب ذلك انها حقائق يعرفها جميع خواص العثمانيين وكثير من عوامهم فكيف تخفى على أمير مكة المكرمة على مكانته في الذروة العليا من الامة والدولة ، وأهل بيته منهم الاعضاء في مجلس المبعوثين كنجلة الشريف عبد الله وفي مجلس الاعيان كأخيه الشريف ناصر

وقد أعجب أهل الفضل بنزاهة المنشور ومحافظته على كرامة الدولة العثمانية وسلطانها العظام وكرامة الشعب التركي أيضا وحصره السيئات التي يشكو منها جميع العثمانيين وكل غبوا على الدولة في سيرة الاتحاديين فيها

ومن حكم لروية والانصاف في سيرة الاتحاديين يستدل من موقفه هذا المنشور لكثير من المطاعن التي قيلت فيهم على أن أخبارها قد بلغت حد التواتر بدمرة مصادرها فالشريف الأكبر لم يستمد ما ذكره في منشوره من الجرائد المصرية ولا الاوربية ولعله لم يطلع على شيء منها قبل كتابته ، بل يستمد بيناته من الأقوال

[المرار : ج ٤ م ١٩] حول منشور شريف مكة وأمرها ٢٤٣

والاعمال الرسمية . مثال ذلك ما ذكره من الشواهد على جنائيتهم على الدين وجرائمهم على هدم أركانه والعبث بأحكامه . فانه ذكر منه أمر سلطاتهم العسكرية بالزام جنودهم النقيصة في الحجاز وغيره من الامصار الفطر في رمضان وأمرهم تقاضي مكة بهدم الاعتداد بشهادة المسلمين بعضهم على بعض الا ما كتب منها في محكمته ، وأما أخبار فتكمهم بأهل الفضل والنبل من مسلمي سورية تنقيلا وتصليبا ومصادرة الاموال ونفي النساء والاطفال فلا شك في أخذه إياه من الجرائد السورية الرسمية وغير الرسمية وان لم يصرح بذلك . ودللي على ذلك ان أول كتاب جاءني من وكيل المنار في الحجاز قد نقل فيه عن تلك الجرائد أسماء من قتلوا وصلبوا في الشام من كبراء العرب ومنهم السيد الزهراوي وشفيق بك المؤيد وغيرها

وقد تذكرت بهذا أنه لما ذكرت الجرائد المصرية أول نبأ عن صلب فضلاء العرب ببيروت وعم الاحد عشر الذين منهم النابغة محمد الحمصاني وعبد الكريم قاسم الخليل أرسل لي فؤاد الخطيب برقية من الخرطوم ذكر فيها ارتياعه واستفظاعه للخبر وشكه في صحته والرغبة التي في ارسال برقية اليه ببيان رأي فيه وقال انه لا يثق به الا اذا كنت مصدقا له . فأرسلت اليه برقية قلت فيها اني لا أثق بشيء من ذلك . ثم جاءت جرائد أوربة فجرائد أمريكة نشرت الخبر ، وفي جرائد أمريكة العربية السورية نقل له عن جرائد سورية . ثم انني كنت مارا مرة بنظارة الحربية فرأيت فيها رجلا قد أسره الانكليز من سيناء فسأته عن بلده وعن أخبار سورية فتمل انه من القدس ، وأخبرني بخبر الذين صلبوا في بيروت ، فقلت هل تعرفهم قال لا بل أعرف بعضهم بالاسم ، قلت ممن علمت بخبر شقهم ؟ قال من جريدة القدس الرسمية . لاجل هذا قلت في المحاوراة التي نشرت في الجزء الثالث ان خبر صلب من صلب في سورية قد ثبت عندي بالتواتر

لقيت أول من أمس صديقا لي من رجال القانون أعرف منه استقلال الرأي فتكلمنا في هذا الموضوع فقال انه يحب ان يجعل نفسه كاتقاضي في هذه القضية فلا يحكم فيها . قلت بل يجب ان يجعل نفسك بمكان المؤرخ المنصف الذي يحصص الاخبار ، ثم يجزم بالنفي أو الاثبات ، فأنا لم أكن خصما للانكليز بل كنت صديقا

لم قبل الدستور وبعده ، وكنت أول من دافع عنهم لما حلت عليهم جرائم الهند
الاسلامية ورميتهم بالكفر والحاد ، واسطة خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد لاجل
ابطال الحكم الاسلامي ، ولما شاع أمر حبشهم بالدين وتصبهم على العرب وغيرهم
تثبت في الحكم عليهم وذهبت الى الآمنة فأقت فيها سنة كاملة معهم ساعيا في
خدمة الاسلام عامة وفي التأليف بين الترك والعرب وعملت بالاختبار الطويل ان كل
ما قيل فيهم دون الواقع كما يتيه في الذكر

وبجلة القول ان منشور الشريف الذي كان قبل استقلاله في المجاز أعظم
الامراء العثمانيين هو أعظم المحجج على ملاحدة الاتحاديين ، كما أنه تأيد من سيد
العرب لطلاب الاصلاح من العرب ، لانهم بنوا معهم على أساس المحفظة على
الدولة العثمانية ، ومن قواعدهم ان لا يكونوا سببا من أسباب ضعف الدولة ولا تمزيق
وحدتها . وقد انسلخ من الدولة عدة ممالك وولايات بسوء سياسة الاتحاديين :
البوسنة وهرسك وطرابلس الغرب وألبانية ومكدونية : كريت وجزائر الارخبيل
الرومي ، - دع ولاية البصرة . ولولايات الارمنية والانضولية التي ذهبت في
هذه الحرب - ولم يكن العرب سببا في زوال شي منها . فهذه أكبر حججنا على
هؤلاء المحررين

باب الامر اسلة والمناظرة

حال المسلمين الاجتماعية

(وفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر)

للفاضل القيور - م . ن - صاحب الرسالة التي نشرت (في ج ١٠ م ١٨)

حضرة خاتم الاسلام السيد الامام الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب

مجلة النار الاسلامية ١

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فلست صحفيا ولا من المشتغلين بالتحرير ولا ببيع وقت فراغي كتابة المقالات ، وتنسيق العبارات ، فان في أعمالي اليومية اشغلا شاعلا . فان اكتب اليكم فانما اكتب مدفوعا بمعامل القيام بفريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » التي عفا أثرها من بين المسلمين . اذ لولا صوت المنار الحلي المرتفع الذي يدوي في الآفاق فيفتق أغشية الأذان ، ويرقق حجب القلوب ويفتح الأدهان ، ويوقظ النائم ، وينبه الغافل — لولا ذلك الصوت المنعش للنفوس المحرك للهم ، لصح أن يقال ، ولا عتب في المقال : ان الامة الاسلامية شيخ بلا روح

كتبت رسالتي الماضية في موضوع الدعوة والارشاد ولم يكن لي غرض سوى العمل بهذه الفريضة واقامة الحجبة امام الله تعالى على المسلمين الذين تهاونوا فيه وفي كل عمل اسلامي . وانه وان لم يكن لدي كبير أمل في أن يقدم المسلمون في الحال ، ما يحتاج اليه لمشروع من المال ، فقد كان رجائي عظيما في النجاح التدريجي الذي يؤدي الى النجاح التام . ولكني ما كنت أظن أن يكون نصيب هذه الدعوة الصمت والجمود اللذان يدلان على شدة ما تعاني الامة الاسلامية من أدوائها الاجتماعية .

اذلك حدثتني نفسي بعد طول الانتظار بأن أبعث اليكم بهذه الرسالة الثانية زيادة في التدكير ، وتأكيذا للانذار والتحذير ، ولأبين ان المسلمين غير معذورين في البقاء في هذه البؤرة الفتنة ، وان وسائل النجاة والحياة في أيديهم والامر كله متعلق بمشيتهم . وهذه هي الرسالة :

دعوت المسلمين في رسالتي الماضية لتنفيذ مشروع الدعوة والارشاد وما كنت لأدعوم الا الى حق وأرضحت لهم خطورة الحالة التي نحن فيها وما كان لي أن أكذب . وأقت لهم الدليل على أن المشروع كافل لاصلاح الحال ، وما كنت الا صادقا . وانتظرت ماذا يكون من أمر هؤلاء وأطلت الانتظار فألفيتهم صموا عن النداء ، واختاروا البقاء في الشقاء ، وما كنت مكرها لهم على ما ثقلت عنه نفوسهم ولا اكراه في الحق

انه ليحزنني أن تخيب دعوتي وليس ذلك لانها صادرة مني فما هي الاصدى
لاصوات صاحب المشرع ومن نصره فيه من قبلي . وانما حزني وأسفني لحرمان
الامة الاسلامية من الخير العظيم الذي كان ينتظرها ان هي اجابتهما ، ولكن ماحيتي
وقد دعوت ونصحت وما فرطت ، والامة أعرضت وجحدت واستكبرت . وقد
فشلت دعوة الكثيرين من أهل الغيبة والاخلاص من قبل فلم ينقص إعراض
الناس عنها من قدر الحق ولا من قيمة ما دعوا اليه شيئا ، اذ الحق حي بذاته لا يضره
أن يكفر الناس به كما لا يرفعه أن يغفلوا فيه . وان في ضياع صوت أستاذنا العظيم في
فضاء غفلة هذه الامة الجاهلة امرة وذكرى للمتشائمين المتسرعين

انه يقع الانسان في الخيرة ويأخذه المعجب لخبيصة دعوة الحق بين المدايين
وفيها خيرهم وفلاحهم ونجاح دعوة الشرفيهم وفي اجابتهما هلاكهم وشدة وهم . فما أشد
ظلمهم لاهل الحق الذين يغارون على الامة ويريدون لها الرشاد وظلمهم لانفسهم
باتباعهم أهل الضلال الذين يسعون في الارض بالفساد . . . ولقد ود المصلحون لو
أن الامة عرفتهم فأترلتهم منزلتهم وسمعت لقولهم واقفقت أثرهم فتهضت بهم .
لابسأل هؤلاء الامة أجرا على عملهم فالحق والعمل الصالح أعلا من أن يقوما بشيء
من حطام الدنيا . وان أخذوا أجرا في الظاهر فليس هو في الحقيقة بأجر وما هو من
قبيل من شيء . مباع ولكنه مال يسدون به عوزهم ويستعينون به على عملهم الذي يقيمون
به الخير الامة وسعادتها . انما أجرهم على الذي فطروهم وهو وحده الذي يرفعهم
ويكافئهم عليه في دار غير هذه الدار . أما أهل الباطل والضلال فهم ينفثون السم
في النفوس والارواح بما ينشرون من رأي ، ويدعون اليه من عمل ؛ ويسلبون أموال
الامة أجرا على هذه الضلالات ، انهم لا يرجون عند الله ثوابا ولا بعد هذه الحياة
حياة . فهم لذلك يمحطون على جمع المال بأي وسيلة تمكنهم منه ، فهو غرضهم الذي
اليه ينتهي الامل ، والسبب الوحيد الذي يحركهم للعمل . هؤلاء هم رسل الشهوات
وأعوان الهوى وأولياء الشيطان ، وأولئك هم دعاة الفضيلة وانصروا الحق وحزب الرحمن .
فيا ليت شعري أي الفريقين خير مقاما وأهدى سبيلا . ومن منهما أولى
بالاتباع وأقوم عملا وأحسن قبيلا ؟ فياخلف خير أمة أخرجت للناس أنستبدلون

الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ وتندفعون الى الاوهام والضلالات مختارين
وتسلمون الى الشر؟

وذكر كثير من الناس لو يعرفون سبب هذا الجفاء بين المسلمين وأهل الحق
والصلاح وهم المحبون الصادقون، وعلة هذه المودة بينهم وبين أهل الباطل والفساد
وهم الأعداء الظاهرون، فإنه لا بد أن ذلك من سبب ومقعى عرف السبب زال العجب.
ليس العيب الذي تقدم ذكره هو الوحيد في المسلمين. والا فلماذا يعادي
هؤلاء المسلمون أنفسهم ويعطفون على أعدائهم؟ ولماذا يمرضون عن مصالحهم
ويسارعون الى هلاكهم؟ وما الذي حسن اليهم الباطل وبغضهم في الحق؟ وأي
شيء سوغ اليهم ارتكاب السيئات وترك الحسنات؟ ولأي سبب يصالحون الشيطان
ويغضبون الرحمن؟ وما السبب الذي هبط بهذه النفس الانسانية الى درك الحيوانية؟
انه يوشك أن تكون جميع تصرفات المسلمين مخانقة للمقل والنقل وأحوالهم
مردولة غريبة الشكل. وإنما هذه التصرفات والأحوال هي أعراض للمرض العام
الذي سكن في جسم هذه الأمة فأضعف قوتها الحيوية وأسدل الحجب على بصيرتها،
قبحت ما ليس بالقبيح ورأت حسنا ما ليس بحسن. فرض الأمة هو سبب كل
ما تنكر من ميوها وحركاتها وسكناتها. فإذا عرف المرض عرف السبب

المرض أو السبب هو كما قال السيد الامام هو ضعف استعداد الأمة وحرمانها
من الزعيم. وهو قول حق لا ريب فيه، اذ لو وجد الاستعداد والزعيم معالتهضت
الأمة من كبوتها وحيت حياتها الطيبة وفارقها الشقاء، وزال عنها ما نزل بها من البلاء،
ولكن الى متى نسكت على هذا الضعف فينا ولا نباشر علاج أنفسنا؟ الآن وقد
عرف كنه المرض الذي أصابنا وسبب الضعف الذي أنهك قوانا فمن السهل معرفة
علاج هذه الحالة أيضا. إنه وقد أمكن تشخيص الداء فما علينا الا أن نصف الدواء.
للعلاج ضعف استعداد الأمة الا في أمر واحد وهو العلاج القديم الذي
ثبت صلاحه وتأكد نجاحه راتب في كل زمان وفي كل مكان وسار على سننه
الانبياء عليهم الصلاة والسلام في تبليغ رسالات ربهم عز وجل، وكذلك الصالحون
من بعدهم. ذلك العلاج هو إقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر »

ان الناس أفلحوا وسعدوا ما عملوا بهذه الفريضة وخابوا وشقوا ما أهملوها .
فكما أن دأنا في تركها كذلك علاجنا في اقامتها . وقد جعل الله تعالى العمل بهذه
الفريضة شرطا ضروريا لصحة الايمان وهي أعظم ما فرض العليم الحكيم على أتباع
أنبيائه عليهم السلام ، فكانت ولا تزال اقامتها عنوانا على هداية الناس وسعادتهم ،
وأهمها دليلا على صلاحهم وخسرتهم واستحقاقهم للمنة « لتأمرن بالمعروف وتنهين
عن المنكر أو ليساكن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم » (لمن
الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)

تركت الامة الاسلامية العمل بفريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر »
من عدة أجيال فتفقدت بذلك قوتها الحقيقية التي كانت تحمي بها الاموال والاعراض
والعقول والقلوب والاخلاق والدين من فتك الشهوات وهجمات الشياطين . وماذا
يفعل الاعزل من السلاح ، في ميدان النزال والكفاح ؟ صار أفراد المسلمين بعد
ذلك — وقد خفت صوت الامة وارتفع صوت الشهوات والهوى والشيطان ،
كالعقد الذي تبعثرت حباته أو كذرات الرمال التي تتجاذبها الرياح والاهواء المختلفة
فضل الناس في الفهم والرأي والعمل ولا منكر ولا مرشد ، وانحلت الرابطة
وتفرقت الكلمة ، وتناكرت العقول والقلوب ، وضاعت الفضيلة ، وحلت محلها الرذيلة ،
والمبدل الجهل بالعلم ، وأوشك أن يكون الدين المعمول به عند الجماهير الآن
مجموعة خرافات وأوهام وضلالات ، وبدع ومنكرات وتقاليد وعادات ، وبالجملة
ان الحال قد تحول الى ما يرى كل انسان ، وليس الخبر كالعيان . تلك عاقبة الذين نسوا
حظا مما ذكروا به باهمالهم هذه الفريضة فتولدت بذلك في الامة الامراض والعلل ،
التي أضعفت استعدادها للفهم والعمل ، فضل فيها صوت المصلح ، وخابت دعوة
الحق ، وما ربك بظلام للعبيد

وان تعجب فعجب أن يعتذر القادرون على الاصلاح عن اغفالهم ذلك الواجب
العظيم باعراض الامة عن الحق والخير وانصراف عقول أفرادها وقلوبهم الى الباطل
والشر ، ونسوا ان الامة ما سقطت في هذه الهوة السحيقة ، الا بسبب اهمال هذه

الفريضة . كما غفلوا عن كونها أحوج الى الارشاد في هذه الحالة منها في سواها !
ان ما وقع من الامة من التفريط في جنب الله لا ينبغي أن يُستل عنه
سواها وان عليها ان تتحمل وحدها أثقله وتتجرع مرارة (ولا نزر وازرة وزر
أخرى) . فلا يصح أن يؤدي تفريط الامة في واجبها الى تفريط المؤمن في واجب
« الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » الذي فرضه الله عليه ، ولا يسقط عنه الا بأدائه ،
سواء استجاب له الناس أم لم يستجيبوا . ما كان ضعف استعداد الامة للحياة أو
بعبارة ثلاثة ضعف قوتها الحيوية الذي هو نتيجة طبيعة لما كسبت أيديها كما تقدم
ليغير من موقف المصلح أمامها ، فهو مطالب على الدوام بأن يصدع بالحق وان كان
غريبا عن عقول وقلوب أكثر سامعيه ، وان يقرر الحقيقة وان لم يفهمها الا نفر قليل
منهم ، ولد عوته مع ذلك حجة على الطائعات والفاسق ، وما الاخير لقله استمداده بمذور
(كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * وقالوا قلونا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا
ما يؤمنون * ايس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء * ما على الرسول الا البلاغ)
وقد دعا كثير من أنبياء بني اسرائيل قومهم الى الحق فكذبوهم وقتلوهم . وما
كذبوهم وما قتلوهم الا لانهم لم يفقهوا دعوتهم أو لم يقبلوها . وكذلك كان شأن
الناس مع كثير من المصلحين . فما من دعوة الى حق الا وصادفت في أول أمرها
إعراضا عظيما ومقاومة كبيرة ممن جاءتهم ، حتى قيل انه لا أمل في قبولها . ومع ذلك
لم يكن ذلك الاعراض وذلك التكذيب وتلك الشدائد لوثر في همة أولئك الهداة
وعزمهم ، أو ترجمهم عن قصدهم ، فمن ذا الذي يجسر ان يقول ان عملهم كان لغوا
لان الناس لم يكونوا مستعدين له ؟ كلا بل هو كل الحق والصواب وعين ما أمر
الله به وأوجبه عليهم وهو سبب كل ما وجد وما يوجد من خير واصلاح في العالمين
وعلة الحركة والحياة في الناس أجمعين .

ان كل دعوة لحق تصيب الغرض سواء أجيبت في الحال أم لم تجب وسواء
أدرك لداعي نجاح دعوته في حياته ، أم حصل النجاح بعد وفاته ، فهي محدثة أثرها
على كل حال . فمثل الكلام الطيب والعمل الصالح وتأثيرهما في النفوس كمثل
التفاعلات الكيماوية سواء بسواء ، فان التفاعل الكيماوي حاصل وان كان أحيانا
(المنار : ج ٤) (٣٢) (المجلد التاسع عشر)

يسير ببطء تبعاً لحالة المود وطبيعتها وقوة تأثيرها بعضها في البعض الآخر . وكثيراً ما تجري الحوادث الكونية بحيث لا تدركها الابصار ولا تناولها الحواس ، فإذا مضت الايام أو الشهور أو السنون أو القرون فوجئ الغافلون بالتأجج الصغيرة أو الكبيرة التي نشأت عنها ، وبالجملة انه كما ان لكل حركة أثراً في مجموع ما يحيط بها من الاشياء كذلك لكل كلمة طيبة أو كلمة خبيثة فعلها في ردع الناس عن الشر أو اغرائهم به . أفليس من الوجوب علينا الاكثار من الكلم الطيب دعوة للخير ومقاومة لدعوة الشر التي كثرت واستفحل أمرها ؟

ان الباطل عدو الحق كما ان الحق عدو الباطل . وهذه العداوة قديمة من عهد ان عرف حق وباطل وستبقى مستمرة الى ما شاء الله تعالى . فعلينا ان نفهم هذه الحقيقة ولا يطعن أحد في التوفيق بين عدوين هما أكبر خصمين في الوجود . انه لا ضرر على الحق من هذه العداوة أو الخصومة التي لا مفر منها ، فالباطل أضعف من ان يقف امام حق والحق أقوى من ان يتأزل . باطلاً وما كان لباطل ان يوجد مع حق في ساحة فأين وجد حق لا يوجد باطل وان الباطل يتضائل أمام أشعة الحق كلما اقترب منه كما تتضائل الظلمة أمام الضوء . ان الحق ثابت بنفسه والباطل ساقط بذاته أو بعبارة أخرى ان حياة الحق مستقلة باستقلال الحق ولا حياة للباطل الا باستناده الى الحق فهو أشبه بالخيال منه بالحقيقة . انه لا يطلب الباطل الا الحق فالباطل قوي ما غاب عنه الحق وكما انه لا سلطان لحق على حق كذلك لا نفوذ للباطل على باطل وكما ان الباطل يذهب لتدوم الحق فانه لا يترك مكانه للباطل مثله . فيلزم مواجهة الباطل بالحق على الدوام فموت الباطل في قرب الحق منه وحياة الحق في خفاء الباطل . ان الحق حق ولا يمكن ان يكون الاحقاء والباطل باطل ولا سبيل الى جملة حقا ، فلا بد من الخلاف والتصادم بينهما . ولما كانت مهمة الحق ازهاق الباطل ودأب الباطل الفرار من امام الحق والانتشار في الساحات التي لا سلطان له فيها ، وجب ان يتعقب الحق الباطل أينما حل وسار ، لينم له الانتصار .

لا عيب في الحق وانما العيب فيمن يدهون اتهم أهله اذا قصرُوا في القيام به ونصره ، والا فقيم بنحش أهل الحق أهل الباطل وهو لاء ضعفاء بضعف ما لديهم

من باطل ، وأولئك أقوياء بما لديهم من الحق ؛ لا يجوز لأهل الحق ان يدعوا هؤلاء المبطلين آمنين مغرورين بزخرف الباطل مفتونين بظواهره الكاذبة حتى لا يكون ذلك اقرارا منهم لباطلهم ، بل ان الواجب اطلاق بلهم وقذفهم بالحق دائما بدون رافة أينما ذهبوا أو حلوا أو وجدوا ، في غدوهم ورواحهم ، في نومهم ويقظتهم ، في أعمالهم وراحتهم ، الى ان يذهب نور الحق بظلمة الباطل ، ويعرفوا انهم لم يكونوا الا واهمين . ان نور الحق متى ظهر للناس لا يستطيعون نكرانه وان استطاعوا انكاره فلا يقدرّون على المجاهرة به . وان الاصرار على الباطل بعد أن يفضحه الحق قليل في الناس ، وإنما يصر الا كثرون منهم على ما يصرون جهلا منهم وتوهمها أنهم على حق ، لا عذر في السكوت على الباطل فيجب أن لا يصد داعيا الى الحق صاد مهما عظمت المهمة وبعدت الشقة ، واذا بعد الناس عن الحق أو قل عدد الراغبين فيه منهم أو فقدوا في بعض الازمنة أو الامكنة فان ذلك لا يجعل الحق غير حق ، ولا ينبغي ان يكون مانعا من الدعوة اليه اذ الباطل لا يصح ان يُرضى به على أي حال . ان الحالة قاضية بتنبيه المسلمين الى الخطر المحقق بهم ، وأن يقال لهم في وجوههم بصوت جهوري : انكم في هوة انحطاط سحيقة تجب للمبادرة الى انقاذ أنفسكم منها . ولا يمكن أن يقال لهم غير ذلك . ينبغي أن يقال للمسلمين : « يامعشر النساء ويامعشر الرجال أنتم على باطل وضلال . وأن تقاليدكم وعاداتكم التي تدينون بها وتحرسون غاية الحرص عليها انما هي من مخترعاتكم ومخترعات آبائكم ، وأن القتل ينكرها وشرع الله يتبرأ منها . وهذه القبور وما حوت من عظام الاشجار والاحجار لا يمكن أن تتخذ وسيلة الى العالم الملام ، ولا سببا لقضاء الحاجات أو شفاء الاسقام ، وهذه الافكار الفلسفية والنزعات المادية التي اتبعتم فيها سفهاء الافرنج بدعوى المدنية لم تكن الا نزغات شياطين . وهذا الفسق والفجور والعصيان من عمل الشيطان ولا يتفق مع رضاء الرحمن . وأن خطتكم التي تسيرون عليها الخطة عوجاء وهي سبب ما نزل بكم من البلاء . فارجموا الى أصل الدين تكونوا من المهتدين » يجب أن يقال ذلك وما شاكاه للمسلمين وأن يبين لهم ما يقال تقريرا للعقول والافهام . فمن قام بذلك فقد قام بواجبه وليس عليه أن يبحث في مبلغ تأثير

كلامه في نفوسهم فليس عليه هدايم وإنما الهدى هدى الله .
قد يفتقه المسلمون القول ويدركون الغرض المقصود منه في الجملة فيهمون أن
يفتحوا عيونهم للنظر ويتحركوا للعمل ولكن قد تغلبهم الشهوات فيعرضون ،
ويؤسوس لهم الشيطان فينكصون ، وعن اتباع الحق يعدلون . انهم عصوا لضعف
استعدادهم ولكن ما حيلة الداعي وأمر استعدادهم بأيديهم ان شاؤا أصلحوه وان
شاؤا زادوه ضعفا ؟ وما ذنبه والمرء لا ينفعه زجر زاجر ما لم يكن له من نفسه وازع
(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

ان الناس مسؤولون عن ضعف استعدادهم كما أنهم مسؤولون عن ضياع كلمة
الحق بينهم . وان ضعف استعداد الامة ناشئ عما ارتكبته من السيئات ، فيكفي منها
الاقلاع عنها وعمل الصالحات ليبدلها الله تعالى من فضله حسنات . ما عذر هؤلاء
المسلمين في هذا الانحطاط الذي انفردوا به وفيهم كتاب الله تعالى ، وأمامهم سنة
رسوله (ص) وبن أيديهم آثار أهل الحق ورجال الإصلاح ، وتحت أنظارهم
الأمثال الحسية على قيمة العمل وعلاهم فيما يشاهدونه حولهم من المجهودات
العظيمة التي تقوم بها الامم العريضة القوية ؛ ان المريض وان اشتد به المرض قد
يجد الى الشفاء سبيلا باتباع أوامر الطبيب والعمل بارشاده . فلماذا لا تطلب هذه
الامة شفاءها في القرآن الذي ما فرط الله فيه من شيء ففيه شفاء للناس ؟ ولم لا
تستوضح ما أشكل عليها من سنة الرسول (ص) والمأثور عن السلف الصالح ؟ كل
ذلك ميسورها سهل عليها . بل ما الذي يمنعها من الاصغاء لنداء أهل الحق
والاصلاح الذين يمن الله تعالى بهم على المسلمين من وقت الى آخر رحمة بهم اذا
اشتدت الحاجة اليهم وزاد الكرب وضاع اللب وبلغت الروح التراقي ؟ لقد رزق الله
الامة الاسلامية من هؤلاء في أقل من نصف قرن ثلاثة أقطاب كل واحد منهم يكفي
للهوض بالامة وامعادها لو وجدوا منها سمية وناصرها ومطيعا . انه قضى منهم اثنان وهما هو
ذا الثالث يتربع بالحجة ويصدع بالحق تسعة عشر عاما فهل وزن قوله بميزانه وعرف
له حتى الآن قدره ؟ ان صوت المنار لهو حجة الله الناطقة في الناس في هذا العصر وأنه
وان ضاع حتى الآن بين أهل هذا الزمان فانه لا يضيع عند الله ولا في مستقبل الزمان

أفلا ينظر المسلمون إلى حالتهم ويرجعون إلى أنفسهم ليجدوا أنهم ضلوا ضلالاً بعيداً! وهل شيء أدل على ضعف دينهم وانحلال قوتهم من قيام قسيس في هذين اليومين يطعن في السنة وأشهر رواياتها وحملتها وينشر شبهته في مجلة سيارة ويدعو إلى الرد عليها ثلثمائة مليون من المسلمين؟

فأي برهان على فتر الامة من الرجال أقوى وأظهر من سكوت علمائها عن رد مزاعمه وإبطال شبهاته سوى رجل الإصلاح الاوحد ناصر الاسلام السيد الامام؟ ان القسيس ما كان ليتحدى برسائله صاحب المنار فهو يعرف من هو، وكان يتمنى طبعاً لو لم يرد عليه بحرف واحد. فهل الامة كلها صاحب المنار؟ وهل عدم المسلمون وهم يعدون بمئات الملايين من يستطيع ابطال الشبهة ورد الفرية سواء؟ قد يكون ذلك صحيحاً. وبالإلأسف وقد لا يكون صحيحاً. ولكن الذي يلزم الاعتراف به هو ان الامة سكمت لمن ادعى انه هدم الاصل الثاني من اصول دينها وهو السنة النبوية وقد وقف أمامها يدعوا افرادها كافة إلى الكلام، ويطلب منهم وهو فرد ضعيف الخروج جميعاً إلى الميدان! فهل نصدق بعد هذا دعاوي من تصدروا لإرشاد الامة وسموا أنفسهم رجال الدين وأئمة؟ وهل يفتر الغافلون بتظاهر أهل المآثم والفرجات من علماء هذا الزمان بالتقوى والصالح والغيرة على الدين والعمل لمصلحة المسلمين؟ ألا يت شعري بما ذا يعملون سكوتهم وقد وجب النطق واستنصر الحق؟ وبأي شيء يؤولون اهلهم فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وهم اولى الناس باقامتها؟ لاجواب على ذلك الا ان الهمم مصروفة الى غير تلك السبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل لم تفقد الامة الاسلامية استعدادها للعمل فقد تآماً اذ هي لا تخلو من استعداد لقبول دعوة الخير الى حدماً والا كانت شرّاً محضاً. ولا يوجد في الكون محض شر ولا لزال على الفور. فالذي نشكوه وعناه السيد الامام هو ضعف الاستعداد لا فقدته تماماً. وانما ترفض الامة الضعيفة الاستعداد دعوة الحق ولا تلبها في وقتها لتقص في النظر وقلة في الفهم، وضعف في القلب. وليست معذورة في ترك العمل لضعف استعدادها وحرمانها من الزعيم أو الزعماء كما تقدم، فان ذلك الضعف وذلك الحرمان منها وهي التي ولدتهما كما تلد الام ولدها

ألا ان الاستعداد لا يوجد في الامة من نفسه ولا يوهب لها كما يوهب المتاع . ولكن الامة هي التي توجد بهتميد الاسباب له كما ان وجود الزعماء تابع لحركة الحياة فيها ، فهم أبناؤها وهي التي تلدهم . فالامة هي التي توجد استعدادها كما تلد زعماءها ، وقد يكون الزعيم موجودا وهي لا تراه لعله في باصرتها أو بصيرتها فاذا زالت العلة بتقوية الاستعداد للاصلاح والتوجه لطلبه وجدته بين يديها وأمام عينها فالامر كله راجع الى الامة وهي التي عليها أن تحضر الدواء وهي التي عليها أن تتعاطاه . فهي المريض ومنهسا الطبيب . وبعبارة ثانية ان الامة متى وجد فيها الاستعداد للحياة أوجدت طبييها واستعدت لقبول دوائه ، فهي المطالبة بأعداد الطبيب أو الاطباء وهي المطالبة بتجهيز الدواء وباستعماله في مقاومة الداء . انها هي المطالبة وحدها باقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » فان عجزت فقد عجزت عن الحياة ولا دواء ولا شفاء

لست أعني بهذا اني يشئت من حياة هذه الامة ، بل مرادي أن أقول ان حياتها لا تكون الا في العمل بهذه الفريضة التي هي العلاج الوحيد لمرضها .

انه ما كان للسيد الامام وهو طبيب الامة الاوحد أن يباشر علاجها الا من هذا الطريق الطبيعى الامين ، وان يستعمل سلاحا لقطع عرق الفساد من أصوله غير ذلك السلاح الماضى . فلقد أحيا هذه الفريضة ونصرها بلسان المنار الذي أنشأه وبلسانه على منابر الخطابة وفي الجمعيات والحفلات وفي مجالسه العامة والخاصة وقد ربي المنار رجالا يحبون الاصلاح ولكنه على ارتفاع صوته وعظيم قوته المستمدة من قوة الحق لا يزال عدد من رباهم قليلا واستعدادهم ناقصا . ولا يدل ذلك على تقصير لما ربل هو علامة على استفحال الداء في جسم الامة . ولما رأى الرجل زاده الله علما وهدى أن تيار الفساد يشتد اشتدادا ، وأعوان الضلال وأولياء الشيطان يزددون ازديادا ، أدرك أن الامر يقضي بتربية فئة من المسلمين تربية علمية أخلاقية دينية عصرية ليكمل منهم سدا امام ذلك السيل الجارف الذي ينذر بأمر خطير وشر مستطير . انه أراد بتأسيسه [جمعية الدعوة والارشاد] أن يهب الامة كنزا ثميننا لانقاذ له لتأخذ منه على الدوام حاجتها من الرجال القادرين على اقامة

هذه الفريضة التي لا قوام لها بدونها .

انه كان حقيقا بالمسلمين وقد أصبحوا على حافة الهاوية ان يشتروا حياتهم باحياء هذا المشروع . ان الحياة أغلا من ان تقوم بمال . فهل كثر على المسلمين ان يشتروا حياتهم بفلس لو قسم على كل فرد منهم ما أصاب الفرد بارة واحدة ؟ انهم بخلوا بهذه الدريهمات ولذلك مات المشروع فماتت بموته آمال عظام . انه مات صدقا ولكن ذلك لا يفرغنا فسيخلقه الله خالقا جديدا وما ذلك عليه بعزيز . نعم مات المشروع بعد ان عاش أربع سنين عيشة مضطربة ، ولكنه سيعود باذن الله تعالى على أيدي أناس آخرين جديرين باحراز خيرا القيام به . انه مات ولكنه في الحقيقة لم يمت ، فقد مات بشكله الذي انشأ عليه وعاد للحياة بعد تحوير في شكله الاول بقدر ما سمحت به الوسائل لصاحبه وسيبقى ما شاء الله تعالى حاكما على الامة بالضعف وللإستاذ بعلم المهمة والاخلاص . مات المشروع ليحيا المشروع . مات حقيقة الامر انه حي لانه من الحق والحق لا يموت ابدا . ليكن مات في الظاهر ولكن صاحبه بفضل الله لم يمت وسيبقى بتوفيق الله تعالى بالرغم من حسد الحاسدين سيما مسلولوا فوق رقاب المفسدين ، وحجة لله تعالى على المجرمين ،

ليس غرضي الآن ان أعود فادعوك الى نصرة المشروع وقد رفضتم الدعوة من قبل وما أغتكم النذر ، وانتم أدعوك الى اقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » فانظروا ماذا أنتم صانعون . اني أطلبكم باقامة هذه الفريضة التي لا مجال فيها للتأويل ، ولا للقل والقليل ، انه في اقامة هذه الفريضة علاجكم الوحيد فلا يصح ان تتوانوا في طلبه والا فقدتم حياتكم .

ان الحالة وان اشتدت وتعاظمت لا يجوز ان ييأس باشتدادها المؤمنون ، فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون .

نعم أنكم قطعتم في سبيل الضلال شوطا بعيدا وسطقتم في مهواة الخيبة والخسران سقوطا شديدا ، وصرتم أحط أهل الشرق والغرب ، وضجت من أفعالكم الأرض واستفأثت السماء وغضب الرب ، ولكن العلاج لا زال ممكنا وطريق السلامة أراه مفتوحا آمنا . ولا يعوزكم لا السرعة في العمل ، قبل ضياع الأمل . فان نار الشهوات

والهوى التي أحرقت أجسامكم وأرواحكم تكاد تأكل ما بقي من رفق فيكم، فاحفظوا هذا الرفق وانجوا بأنفسكم والأهلكتكم كما هلك من كان قبلكم وما أنتم بمعجزين .
يؤلمني انه اذا دعا المسلمين داع لا يعرفون من المقصود منهم بالكلام فكل ينتحل لنفسه الاهدار ويرى انه غير معني بقول ولا مكلف بعمل ! ذلك بأنه لا جامعة تجمعهم ولا سائل ولا مسؤول ! ولكن الله يعلم ورسوله وملائكته وأهل الحق يعلمون ان لا وظائف في الاسلام ولا رسوم ، فكل مسلم مخاطب بكلمة الحق مطالب بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، والامة كلها متضامنة في مسؤولية الرضاء بالحالة الحاضرة ، وعلى ذلك فأنا أوجه خطابي الى الامة جميعها ، وأعني به كل فرد من أفرادها ، واقصد بنوع خاص أهل القتل والفهم الذين لهم آذان يسمعون بها وقلوب يفقهون بها ، اني أدعو هذه الامة الى اقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وأخاطب في شخصها المسلمين كافة صغيرهم وكبيرهم ، مواء منهم المعم والمطربش ، الكبير والحقير ، الغني والفقير ، التاجر والصانع ، صاحب الملك والمزارع ، الخواهي والعامي ، البدوي والحضري ، العربي والعجمي ، اني اطلبكم جميعا باقامة هذه الفريضة فان أجبت فان الله يعدم من لدنه مغفرة وأجرا عظيما وان يرفع عنكم هذا البلاء ، ويفيض عليكم رزقا ورحمة من السماء ، وان تولوا فحسبكم ما أنتم فيه جزاء في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى

أدعوك أيها المسلمون الى اقامة هذه الفريضة ولا أخيركم بين اجابة الدعوة ورفضها لانه ما كان لي أن أخيركم بين الصحة والاعتلال ، والهدى والضلال . ولكم فيما عدا ذلك أن تعدوا وسائل العمل بحسب ما يروق لكم . ولكن ذلك لا يمنعني أن أكرر النصيح لكم بأن أقرب الطرق الى اقامتها على وجهها هو تنفيذ مشروع [الدعوة والارشاد] الذي دعوتكم الى تمضيده في رسالتي الماضية . فان كنتم في ريب منه فأتوا بمشروع خير منه أو مثله للقيام بهذا الواجب الاكبر ، وتخليص الامة من هذا الكرب العظيم ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاعلموا أن مادعاكم اليه امامكم هو الحق المبين واني لم أكن في ترديد دعوته غير ناصح أمين .

نشرنا هذه الرسالة ومنشئ النار قد ذهب الى اداء فريضة الحج فتوجه اليها نظر المسلمين ونحمن صاحب (الانتقاد على المنار) ص ١٩٠ ج ٣

صالح رضا